المحاورات الجديدة

أو

دليل الرجل الذكي إلى الرجعية والتقدمية

وغيرهما من المذاهب الفكرية

د. لويس عوض

المحاورات الجديدة

د. لويس عوض

المحاورات الجديدة

أو دليل الرجل الذكى الى الرجعية والتقدمية وغيرهما من المذاهب الفكرية

دار ومطابع المستقبل
بالفجالة والاسكندرية

مؤسسة المعارف للطباعة
والنشر ببيروت

الطبعة الأولى : روز اليوسف الكتاب الذهبى ١٩٦٥
الطبعة الثانية : دار المستقبل ١٩٨٦

مقـدمة لابد منهـا

فى الثالث من يونيو ١٩٦٥ اشتركت فى مهرجـان الادب الذى اقامته محافظة الدقهلية بمدينة المنصورة ، وتكلمت فى نـدوة حية اشتركت فيهـا مـع الدكتورة بنت الشـاطىء والاستاذ محمد زكى عبد القادر والاستاذ محمود العالم ، وكان موضوع هـذه النـدوة « لقاء الثقافات » والحق ان موضوع النـدوة الـذى اختاره لنـا ادباء المنصورة الشبان كان فى حـد ذاته موضوعا ذكيـا يـدل على حذق كبير فى اختيـار الموضوعات ، لاسيما وان المتكلمين كانوا يمثلون بقـدر عددهم مختلف تيارات الفكر من اقصى اليمين الى اقصى اليسار ، ولم يكن ينقصهم الا اثنـان ليمثلوا كل الـوان الطيف أو ثلاثة ليمثلوا كل درجات السلم الموسيقى .

فلا غرابة اذن ان كان اجتماع هؤلاء المتحدثين فى حـد ذاته « لقـاء ثقافيا » من نوع فريد ، ولست استبعد ان اهـل المنصورة الاذكياء قد تعمدوا ان يرتبوا هـذا اللقاء ليظفروا بجلسة مثمرة ، والـذى نبهنى الى هـذا انى سعدت قبل النـدوة بالتعرف للمرة الاولى الى فضيلة الاستاذ محمـد

الغزالي واتيح لنـا ان نتبادل الحديث خلال ثلاث ساعات قبل بـدء الندوة ، من الغداء الى الاصيل فى أمور الفكر والثقافة وأمور الدنيـا والدين ، وانضم إلينا الاستاذ محمد زكى عبد القادر ، ثم اكتشفت ان ذكيـا من أذكياء المنصورة سجل كل مادار بيننـا من حوار على ريكوردر على غير علم منـا • وقد اختلفنا قبل الندوة واثناءها بمـا أرضى كل الاتجاهات الفكرية على وجـه الارض • وليس هنـاك مـا يـدعو لان أعيـد ما قاله القائلون او ان اتحمل مسئولية عرض أفكار الغير فقد اتهم بتشويشها • ولا سيما ان الامر تعقـد بعـد الندوة الرسمية حين حمل اهـل المنصورة ضيوفهم القاهريين نحـو منتصف الليل فى ركب من السـيارات الي مصيف جمصة فوجـدت نفسى على رمال الشاطىء بين عبـد الرحمن الخميسى وصلاح عبد الصبور وأحمـد حجـازى والدكتور عبـد القادر القط والدكتور عز الدين اسماعيـل وفاروق خورشيد ورجاء النقاش وعبـده بـدوى وعامر بحيرى وعباس خضر • وعـدد عظيم من الادباء والمتأدبين • وكثـر اللغط وتفرق وتجمع وتشتت فى الرياح ورفرف بأجنحـة فى الظلام على أمواج البحر الابيض المتوسط ثم تلاشى الى الابد

ولكن الذى لفت نظـرى فى كل هـذه المناقشات هـو نـوع الاسئلة التى كان يوجهها الينا شباب المنصورة ، وهم

بغير شك يمثلون قطاعا من شباب مصر ، فقد كان أكثر هذه الاسئلة اسئلة حائرة تريد ان تستطلع معنى « الرجعية » و « التقدمية » وتريد ان تستوضح حقيقة دور الاستعمار فيما يسمى عادة بالغزو الفكرى أو الغزو الثقافى ، ولانى أحسست بأن هذه الآسئلة الحائرة تعبر عن أشياء كثيرة عامة فى نفوس عدد كبير من الشباب الذين يسمعون هذه الالفاظ والعبارات تتطاير كالشرر دون ان يعرفوا لها معنى محددا ، فقد دفعنى هذا اثر عودتى الى القاهرة ان اتشبه بما فعله برناردشو ، فأكتب « دليل الرجل الذكى الى الرجعية والتقدمية وغيرهما من المذاهب الفكرية » ٠ أكتبه من وجهة نظرى وفى حدود علمى وبوحى ثقافتى وتكوينى النفسى وربما من زاوية رجل تجاوز الخمسين جذوره الاجتماعية فى الطبقة البورجوازية آلمهنية والبيروقراطية التى انقذتها الثقافة الانسانية من فردية المهنيين ومن تقليدية البيروقراطيين ٠ وانا اذكر كل هذه المواصفات عن نفسى لاعتقادى آن للبيئة دخلا كبيرا فى تشكيل افكار الانسان واستجاباته ، بل ومقومات شخصيته آلاساسية ٠

وبعد ان عدنا الى القاهرة قال قائل : ولماذا لا تنقل ندوات المنصورة التى دارت فى مدرسة ابن لقمان وفى فندق الاكروبول وفى سيارات المحافظة وعلى بلاج جمصة فى صورة

محاورات جديدة مفتوحة تتدارس فيها كل هذه الآراء ، وربما انتهينا الى شيء ينفعنا وينفع الناس ؟

قلت : لا بأس ، ولكن بشرط واحد : وهو أن تسود روح جمصة فى القاهرة ٠

قال : وما روح جمصة ؟

قلت : الا تذكر ليلة كذا تحت الخيمة العظيمة ، وهى أعظم من خيمه السرك ، ويسمونها الكازينو فيما أعتقد ، وكنا نستشرف البحر المالح ونأكل الكباب والدجاج حتى الفجر ، والى جوارنا سبعة من طهاة المنصورة وسفرجيتها يشوون لنا اللحم بأمر المحافظ على الطريقة السكسونية التى يسمونها طريقة « الباربكيو » أو الشواء الدائر فوق النار دوران محمصة البن ؟ كنا ساعتها نتجادل طويلا وعميقا وخطيرا ولكن فى هدوء ، لان رائحة الشواء التى جاءتنا على أجنحة النسيم السارى من أرخبيل ايجة طمأنت قلوبنا وسكنت اعصابنا كأنها انغام من مزامير كاريا أو الحان من قيثارة أيولية عزفت على أوتارها أنامل ايوليوس رب النسيم ٠ وأنتم أدباء القاهرة ، ملتهبون ، ونحن فى يونيو والحر لا يطاق وكل موضوعاتكم ملتهبة ، فاذا وافقت ووافق الجميع ان يتم كل شيء فى ابتسام ، تجادلنا وتحاورنا الى ما شاء الله ٠

فالغضب ممنوع والزعل مرفوع ، ولا آظن اننـــا مستطيعون ان نحل مشاكل الانسانية فى جلسات ٠

قال : موافق ٠

وقالوا : موافقون ، بشرط ان نخلط الجـد بالهزل والهزل بالجـــد ٠

قـلت : ٠٠ ما الى هـذا قصدت ، فنحن لن نتكلم الا جـدا فى جـد ، ولكننـا سنقول كل شىء فى ابتسام ، وحتى لا يغضب احـد سنستعمل الاسماء المستعارة ، ولن ننسـب اى راى الى قائله بآلاسم والرسم حتى يزول الاحراج وتتبسط تحت الاقنعـة الاسارير ٠ ومـا دمنـا فى القاهرة ، وكل منـا الى جوار مكتبته العامرة ، وعلى بعـد اتوبيس من دار الكتب ومكتبة الجامعة ، فهـذه فرصة ذهبية لان نحقق كل ما نقوله ونضبطه على مراجعه ٠ واذا أقتضى الامر دعونا من نشـاء من الخبراء الاجانب ، من افلاطون وارسطو الى ت٠س ٠ اليوت وجان بول سارتر ، بشرط ان ينصرفوا ويعودوا الى بلادهمبمجرد اداء مهمتهم والادلاء بشهادتهم حتى لا تتحول ندواتنا القومية الى مؤتمر لا يعلم عواقبه الا الله ٠ أقول لا بـــد ان يعـــودوا الى بـلادهم فور انتهـائهم من عملهـم ، فبعض هـؤلاء تروقــه ميـــاه النيل اكثر مما تروقه ميـاه التيمس والســين والهدسون

والفولجا والراين والبو فيتشبث بالاقامة بيننا ولو بدون تصريح ثم يدعو أسرته وعشيرته وأخيرا امته الى الارتواء من ماء النيل فيغترفوا منه حتى يجف شريان مصر • فما بالكم بخبراء البلاد التى ليست بها أنهار ؟

وأخيرا أرجو الا يمانع احد فى استحضار اشباح الادباء والاجداد من أبووير وبنتاؤور ـ الى العقاد ومحمد مندور ـ أنا مثلا احب أن أستحضر روح المعرى وابن خلدون لاناقشهما فى بعض ماقالاه ، وهذا حق متاح للجميع ، ولكن أيضا بشرط ان يعود الاسلاف الى اكفانهم وقبورهم بمجرد اتحافنا بآرائهم السديدة أو السخيفة ، حتى لا ننفصل عن القرن العشرين وحتى لا يتكاثروا علينا ويملاوا قاعات سميراميس وشبرد ومنتدياتنا الادبية والفنية فنجد أنفسنا ـ فى مجمع الاشباح وكأننا فى الموقف ، ـ فبعض هؤلاء الموتى أراذل يتشبثون بالحياة ولا يكتفون بعمرهم ولكن يريدون أيضا ان يأخذوا عمر غيرهم •

قالوا : موافقون هل لك شروط اخرى ؟

قلت : نعم ، ان يشترك معنا فى الحوار ادباء القاهرة وفنانونها ومفكروها الذين تخلفوا عن حضور مهرجان الادب فى المنصورة ، مثل أعضاء المجلس الاعلى لرعاية الفنون

والآداب وهيئات تحرير مجلات وزارة الثقافة ومن شاء من اعضاء المجمع اللغوى والفنانين التشكيليين ورجال الموسيقى الخ • فبعض هؤلاء غاية فى التسلية ولا سيما دعاة البعث العثمانى ، ومن يؤمنون بتحقيق الوحدة العربية عن طريق نشيد « أنت عمرى » كما حققت ملينا مركورى الوحدة العالمية عن طريق « فى يوم الاحد مستحيل » وذلك المعمارى العظيم الذى يدمن باخ ونيفالدى ويشترط على وزارة الاسكان هدم جميع مبانى القطر واعادة بنائها بقباب بيزنطية ومشربيات مملوكية •

وبعد ان فرغنا من كل هذه المداولات الاجرائية كان السؤال الاول بالبديهة هو : كيف نبدأ ؟ واين نبدأ ؟

قلت نبدا بالماسكات أو الاقنعة • مثلا فلان وفلان وفلان من خيرة شبابنا المثقف العاكف على الآداب والفنون ، ولكنهم فى الواقع ليسوا أدباء ولا فنانين ولا فلاسفة بعد ، ونرجو ان يكونوا كذلك بعد عشر سنوات • لهذا سأكتفى بنماذج أو عينات منهم حتى لا يشوشوا على محاوراتنا بكثرة الصياح وحماس الشباب • سأكتفى بفلان وهو صبى ادباتى فى شئون الشعر والنثر وذلك القالب الثالث الذين يسمونه الدراما وسأكتفى بفلان وهو صبى نقاش استهوته البوية فاشترك فى اتلييه القاهرة وذهب يلطخ القماش

بالتبقيع والتجريد والتجسيد والتكعيب والتلعيب بـدلا من تلطيخ الجدران ومن آن لآخر يلعب بالحجر والخزف والخشب فيدق عليه بالازميل ، ويسنفره · وسأكتفى بفلان وهـو صبى زمار قضى صباه فى درب العوالم المتفرع من شارع محمد على حيث اكاديمية الزمارين ثم خالط بعض الخواجات فى جازباند الكورسال والكونتننتال فضحكوا عليه واغروه بآلة مضحكـة تسمى الكلارينيت قبل ان يبلغ العشرين ، واعجبـــه لبس السموكنج فأطلق شعر راسه ودخل الكونسرفاتوار ولكنـــه كان دائما يخلط بين كونشرتات موزار ودقات « أيوب المصرى» فنصلوه وقرر أن يحترف التأليف الموسيقى الذى يصلح لخصر هدى شمس الـــدين ، ولاوركسترا القاهرة السيمفونى فى وقت واحـد ، فعين فى لجنة الموسيقى بالمجلس الاعلى للفنـون والآداب ·

وكان معه فى صباه غلام ، وهو صبى قرداتى ـ واخته الصغرى آكلة النار مثله من درب العوالم فى سن البلـــوغ واشتغلا بمهنة البلياتشو على البيانولا فى شارع الفى ـك سنتين أو ثلاثا وكان خيالهما نشيطا كعضلاتهما فدخلا معهـد البالية ودرسا على يـد الخبير الروسى جوكوف الذى لاحظ ان مشية تشارلى شابلن فى الفى بك قوست ساقيه تقويسا عضويا أو نفسيا ، وان أرداف اخته ثقلت بســـبب اكـل

التشويات والمفتقة فأحالها الى الخبير الروسى رامازين الذى عجز عن تقويمهما وتشاجرا معه واتهماه بمعاداة القومية العربية لانه يصر على ان يكون الرقص بالرجلين واليدين وحدهما دون اشتراك الخصر ، ولما انتصر رامازين عليهما فى هذه الازمة عادا واتهماه بمعاداة الاشتراكية والفن الشعبى ، لان شعبية الفن فى مصر دعامتها الاساسية تشغيل الجزء الاوسط من جسم الانسان • وهو لم يخرج بعد من هذه الورطة وانما ينتظر ان تسحبه حكومه الاتحاد السوفيتى لانه لم يفهم تماما كتاب ستالين فى المسالة القومية •

وبعد صبى الادباتى وصبى النقاش وصبى الزمار وصبى القرداتى وصبية البليانتشو ، هناك فلان وهو صبى فلفوس يدعو للجوانية والبرانية معا ويمضغ اسماء كثيرة غريبة من امبادوقليس الى ثراسيما خوس ومن الاكوينى والبرت الكبير الى هولباخ وكوندورسيه وقد استطاع ان يوقف قمة الهرم الهيجيلى المقلوب على قمة الهرم الماركسى المعدول فبدا الهرمان فى شكل هندسى طريف شبيه بوضع أولاد عاكف فى التمرين المشهور حيث يلتصق الراسان • وغير هؤلاء صبيان كثيرون وكل هؤلاء ليسوا بحاجة الى اقنعة لتخفى شخصياتهم لان شخصياتهم لم تتكون بعد أو تتضح فيها ملامح مميزة •

ولكن المشكلة الحقيقية كانت فى اعلام الكتاب والفنانين. كان لابـد ان اصنع لهم ماسكات يخفون وراءها ملامحهم ، فذهبت الى امهر صانع اقنعـة فى القاهرة ، وكان هـو نفسه احـد هؤلاء الاعلام ، وربما كان علم الاعلام ، وكانت هوايته الاولى ان يصنع الماسكات للآلهـة وانصاف الآلهة والابطال رجالا ونساء ، وكان دكانه فى برج عاجى ، فلما سمع المظاهرات بقيـادة ابن سيركوف • وابن ماركوف يعلو لغطهـا ويرتفع هتافها : فلتسقط الأبراج العاجية ! فليسقط الفن الانعزالى ! نريـد ماسكات ، نريـد ماسكات ! الفن للمجتمع ! الماسكات لابناء الشعب الا ماسكات لابنـاء الذوات • خاف ان يحـرق المتظاهرون دكانه ، أو على الاقل ان يقتحموا عليه برجـه العاجى نبتدول الى اسطبل ، فأخـذ يصنع الاقنعـة لكل من هب ودب ويوزعها علىالجماهير ، وكانت اقنعته طبعـا من نوع ردىء والاغلب انـه كان يصب المصيص فى قالب واحـد او قالبين ، ولكنه نجح على العموم فى اسـكات المتظاهرين فانصرفوا عنه وتركوه يعمل فى سلام •

قال صـانع الاقنعة : لا تقحمنى يا حبيبى فى مشاكلك ، انـا رجل مسن واحب الهدوء وقـد نجحت الى حد كبير خلال ثلاثين سنة من العمل المتواصل فى أن ارضى جميـع النـاس اليمين واليسار والوسط ـ ولو انى ساعدتك فى صنع اقنعـة

لادبـاء مصر وفنانيها لاغضبتهم منى ••• هيـا اصنع اقنعتك بنفسك ، وتحمل مسئولية عملك •

قلت يائسا : ولكنها ستكون اقنعة رديئة لا توافق مـا وراءها من وجوه ، او اقنعة شفافة تبـدى كل مـا تحتهـا من ملامح • انـا اريـد ان تكون « المحاورات الجـديدة » محاورات فنية محجبـة مثـل محاوراتك ، لا محاورات فلسفية سافرة مثـل محاورات افلاطون • الم تعلمونا ان الفـرق بين الفن والعلم هـو الفرق بين الحجاب والسفور ؟ انظر لنفسك مثلا : انت قـد صنعت لنفسك قنـاعا ممتازا لبسته اكثر من ثلاثين سنة ، فلم يستطع احـد ان يكشف من تكون او ان يقرأ ما يـدور فى راسك من افكار ومعتقدات • لـم يستطع احد ان يعرف ان كنت على يمين الوسط او على يسار الوسط تماما مثـل شكسبير – والقياس مع الفارق – كانت مهنته الكلام ، ولم يستطع احـد ان يحل لغـزه او ينسب اليـه آراء او معتقدات محـددة رغم انـه لم يكف عن الكلام طـول حيـاته •

قال متبسما : ومـا ادراك ان فى راسى آراء ومعتقدات غير مافى رءوس شخصياتى ؟

قلت : هل يمكن لانسان ان يعيش بـلا آراء ومعتقدات؟

قال : تناعى لم يكشفه بعد انسان . لا عليك . أنت تريد ان تحل لغز الفنان فى خمس دقائق . انا أذكر أيام ان كنت مع طه حسين فى السافوا العليا ومعنا مدام طه ونحن فى كوخ من تلك الاكواخ المسحورة وسط الغابات المسحورة ، وكانت هناك بحيرة مسحورة اتعرف كيف استدرجنى طه حسين الماكر الى السافوا العليا فوجدت نفسى اركب القطار كأنى مجرد من الارادة .

ثم مضى صانع الاقنعة يقص على قصه لا راس لها ولا ذنب ويبتهج امامى بذكريات بعيدة حدثت نحو عام ١٩٣٦ وكانت ثمرتها كتاب كذا ، ولم يكف عن الكلام نحو ثلاث ساعات ، وكلما أردت أن اقاطعه قاطع مقاطعتى حتى اقتربت الساعة من الرابعة مساء فاستولى على اليأس تماما واصبحت مشكلتى ، لا ان اظفر من صانع الاقنعة بأقنعة استر بها وجوه شخصياتى بل كيف استخلصه واستخلص نفسى من حبائل ذكرياته . واستنجدت بصديقنا السندباد الجديد الذى أدرك نظرتى الضارعة .

فقال لقد آن الاوان لنعود الى زوجاتنا .

وهكذا حملنا السندباد الجديد على متن ـ أو على الاصح داخل ـ سيارته المرسيدس كما داب ان يفعل كل اسبوع وانزل كلاما عند زوجته ثم افاق هو ايضا الى زوجته .

ورأيت انــه لابــد مما ليس له بــد ، مادام صـــانع الاقنعة المـــاهر لا يريد ان يساعدنى ، لم يبق الا ان اصنع اقنعتى بنفسى ، فاذا كانت رديئة أو شفافة أو لا تنـاسب أصحابها ، فهى على كل حال خير من لا أقنعــة ، لقـد مضى الزمان الـــذى كان فيــه افلاطون يــدير محاوراته على لسان سقراط وجلوكون وتراسيباخوس وايون .. الخ . فأدباؤنا اليوم شديدو الحساسية ولا مناص من سترهم بأقنعة ، ولكى لا اعطيك ايهـــا القارىء فرصة للابتهاج بذكائك ابتهاجا سريعا لن أذكر لك اسماء « أشخاص المحاورات » أو أرتب لك الاقنعة التى صنعتها بحسب أدوار اصحابها كما يفعلون فى الصفحة الاولى من المسرحيات بل سأعرضها عليك مهوشة ومختلطـة حتى يختلط عليك أمرها فلا تميز منها أحـدا الا بحسـب كلامه وسلوكه : واليك قائمة ببعضها :

ابوالفتوح الصباح ، الخشداش أيواظ . عـــز الدين ايدمر المحيوى . خولة المايسطرية . المـــاركسية المسخسخة شجرة اللولى.أبو سيفين صفيح.ابن عروس.ابن قرمط . الشاب الظريف ابوسنة دهب لولى . خليع القبيلة . المعـلم التاسع.المعلم العاشر.ناظر مدرسة ابن العميد.مجـاهد بن الشماخ . كافور الحاوى اغـــا كافور الحاوى . على الزيبق الجوكى الشهير بالزنبرك . دنانير ومعبـد واياس . عميـد الصعاليك . بازرعة بن شخبوط . اغـا طبوزادة . أبو دراس

المنوفى • الفارس المفروس • الفارس الجربوع • افندم ؟ • أءنــدم ؟ (هذا تنناع وليس سؤالا) الهـر الاسود الحزين • الحرفوش بلا حركشة • كاهن انوبيس • ابن روزنبرج • ابو شوشة الحمى • ابن ماركوف • ابن سيركوف • اغـا ابـو سيغين صـفيح • تاجـر البهارات • الايديولوجى الفهلـوى • ابو المعالى قطز • الملوك الشارد • جراب اليسار مسلول • حـلاق المـلوك والفقراء • المخلص الكفء • المخلص الراسى • الذاتى الموضوعى • بقال العروبة • بقال الاشتراكيه • بقال الثقافة • الفارس المتعالى • على كل لون غلبان • على كل لون مفترى • على كل لون عياش • ذو الاقنعة السبعة • جوركى المـذعور • المتكتك المحترم • المتكتك الدؤوب • المتكتــك الخيبان • المتكتك الشريف ••• حامل الحقائب ••• لولو الجربان • غير ما يستجد من شخصيات واقنعة ، وشخصيات بـلا أقنعة واقنعة بـلا شخصيات وعـــــدد عظيـــم من الكومبارس الذين يطلون برءوسهم لحظـة أو لحظتين ليقولوا « نعـم يا سيدى » ـ ثم ينصرفون الى الابـد •

ومن غير المعقول طبعـا ان يشترك كل هؤلاء فى الحوار فى وقت واحـد ، والا حدثت غاغة فى عالم الفنون والآداب والعلوم الانسانية • ولهـذا كان من الحكمة ان تنتظـــــم محاوراتهم على طريقة البرنامج الثانى أو القناة التاسعة ،

أى ثلاثا ورباعا وخماسا وليس على طريقة الجمعيـــــات العمومية غير العـاديه • ثم نشـأت اثنـاء المداولات نقطـة نظـــام •

اعترض معترض : وهـل نحن بحاجة حقـا الى كل هذه الشخصيات لنجيب علىالاسئلة التى طرحها علينـا أدبـــاء المنصورة ؟

قلت : نعم ، واكثر منها ، وسترى بنفسك • ولكن المهم هـو حفظ النظام حتى لا يختلط الحق بالباطل أو نخرج من هـذه المناقشات بلا ثمرة او يختفى الابتسام ونتضـــارب وكأننـا اعضاء البرلمـان الفرنسى فى الجمهورية الثالثة •

قال على الزيبق الجوكى الشهير بالزنبرك : أنــــا معترض على هـذه الاقنعـة التى صنعتها لنــا • خـذ مثلا قناعى • انــه لا يناسبنى ، وسيظن الناس طـول الوقت أنى شخص آخر •

قلت : لا تغضب ، انما يلام صانع الاقنعة لانــه أبى ان يعاوننى • ومع ذلك الم نتفق على ان يتم كل شىء فى ابتسام ؟ اذ لم يعجبك اجتهادى فأنا مستعد للعدول عنــه • أى قنـــاع تقترح لنفسـك ؟

وهنـا سكت على الزيبق متدبرا ، وطال سكوته حتى مـل الحاضرون •

وحل صانع الاقنعة هـذه المشكلة بقوله : حتى لا نتعطل كثيرا ، انـا اعـدكم بأنى سأصنع قنـاعا جـديدا لكل من يضيق بقناعه ، لابـد من نقطة ابتداء وانهم ان نتقـدم من هـذه النقطة ٠

فهز الجميع رءوسهم علامة الموافقة فقـد كانوا يكنون للشيخ احتراما عميقـا وشاع فى الاسارير سرور غامر ٠

اعترض الايديولوجى الفهلوى قائلا : انا اعترض على كل هـذه الماسكات لانهـا جميعها ممسوخة ، وهى تظهر ادبـاء مصر وفنانيها فى مظهر زرى وتحقرهم فى عيـون مواطنيهم ٠

قلت : انت تغـالى ٠ وما دمنـا قـد اتفقنا على الابتسام فأول شرط من شروط الابتسام هـو قدرة كلمنـا على ان يسخر من نفسه ومن قنـاعه ٠ واذا أردت أن تسمينى المـادى الميتافيزيقى أو البروليتارى البورجوازى او حتى صـبى المبشرين فلن أغضب ٠ أنا اسمى نفسى مركب الموضـوع اللامركب من لا موضوع ، واذا وجـدت أردأ من هـذا فاقترحه وأحمد اللـه انى لم أتشبه بكليلة ودمنة أو بحواديت ايسوب ولافونتين فأصنع لكم اقنعة من رءوس الحيوانات ٠٠٠ كلاب وذئاب وابناء آوى وقطط ، كما كانوا يفعلون بآلهـة مصر القديمة وفى أعيـاد ديونيزوس فى اليونان القديمة ولا يزالون

يفعلون فى الديانات الزووومورفية فى بعض البلاد المتحررة حديثا او فى بعض الاجناس التى لا تريـد ان تنقرض مثل الهنود الحمر .

ثم لا تنس ان اقنعتى اقنعة لنماذج بشرية شائعـة لادباء مصر وفنانيها ، وليست نماذج لاناس بعينهم ، فنحن جميعا من طينة واحـدة وحتى هـذه القوالب قوالب متكررة . ابتسم يـا اخى !

واقترح آخر : مادمت تتحدث عن النظام فلابد من رئيس لهـذا المؤتمر المفتوح ولابـد من مقرر يـدون كل الآراء .

قال رابع : فليكن الرئيس أكبر الاعضاء سنا .

قلت : تقصد المعلم التاسع ؟ هـذا مستحيل . فليكن نائبه هـو صانع الاقنعة . هل من معترض ؟

وهنا صاح الجميع : موافقون ! موافقون !

قلت : وليكن المقرر المعلم العاشر فهو سريع التدوين . هل من معترض ؟

وهنـا سمعت أصواتا تزوم واصواتا تتهلل واصواتا تريـد ان تقول شيئا ولكنهـا لا تقوله . غير ان أحـدا لم يتقـدم صراحة للاعتراض .

قلت : السكوت علامة الرضا • ومع ذلك فسيوزع علكيم المعلم العاشر كل محاضر الجلسات أولا بأول • ومن رأى فيها اى تحريف أمكنه ان يصححه •

قال المعلم العاشر : متململا : ولكننى اريد ان اشترك فى المحاورات لانى اعلم انها ستدخل تاريخ الادب العربى فى القرن العشرين ، وانا كما تقولون معلم ، والمعلم عنده دائما ما يعلمه • ان المحاضر ستشغلنى عن الكلام ، وهذه ستكون مأساة حياتى •

قلت : لا باس عليك • سجل كل شىء بالريكوردر كما يفعل المقررون المصريون فى البلاد المتحضرة ، وتكلم ماشاء لك الله ان تتكلم •

وهنا سأل سائل : وهل هذه المحاضر للنشر ؟

اجبت : رايى الخاص انها للنشر حتى يحاسب كل منا فى كلامه ويحاسب على كلامه فلا نتراشق بالسباب أمام الناس كما يتراشق جمهور كرة القدم بزجاجات الكازوزة • فاذا وافقتم ، سلمنى المعلم العاشر محاضر محاوراتكم بعد التصديق عليها وانا اتعهد لكم بنشرها فى «الاهرام» أو فى غير الاهرام ،

وآرتفعت اصوات تقول ان النشر سيحول دون الكلام بصراحة ، رغبة أو رهبة ، وتجعل كلاً منا يلبس قناعا فوق

القناع الـذى يكسوه ، واذا كثرت الاقنعة ضاعت الحقيقة • وطالب البعض بعقـد جلسات سرية عند الاقتضاء •

قلت : لا جلسات سرية ولا جمعيات سرية فى عهـــد الاشتراكية • عـار ان يقول هـذا ابناء مصر ونحن نحيا فى ظـل الميثاق ••• من تحرج صدره بشىء فليقله على المـــلا ولكن فى حـدود النظام • الم تعلنوا جميعا انكم بنـــــاة الاشتراكية والديمقراطية بالفكر والكلمة ؟ ان الميثاق سمح يـدع كل الزهور تتفتح داخل الحديقة ونحن وللـه الحمـد جميعا نفىء بفيئها • أمـا من راى لنفسه جنة غير هـــذه الجنينة فليمض اليها فهو ليس منا •

قالوا صدقت : من استودعه اللـه شرف الكلمه امتـلا بالروح وحمل العبء العظيم • فلنبـدأ الحاورات على بركـة اللـه •

× الاحـاورة الأولى ×

فى العصر الذهبى

دق رئيس المؤتمر ، وهو صانع الاقنعة ، بعصاه على الارض ثلاثا كما يفعل القاضى على المنصة . أو كما يدقون فى المسرح قبل رفع الستار وقال :

ـ باسم ربات الفنون التسع نفتتح هـذا المؤتمر .

ثم استدرك قائلا : اقصد الربات التسع لا الفنـون التسع لان الفنون سبعة ولا اعرف كيف جعل اليونان تسـع ربات يشرفن على سبعة فنون ، ثم انى لا افهم كيف جعـل اليونان الفلك من اختصاص ربات الفنون ... ومع ذلـك فالينـا بجـدول الاعمال ... ماهى القضية الاولى أيهـا السيد المقرر ؟

قال المقرر ، وهو المعـلم العاشر :

ـ كان أول سؤال هو سؤال طرحه شـاب فى مهرجان المنصورة ... نسمع كثيرا عن الرجعية والتقدمية فما تعريف الرجعية وما تعريف التقدمية وهل هناك مقاييس نستطيع ان

نحكم بهـا على رجل ما نستمع له أو نقرأ له أو نرى سلوكه فى الحياة بأنه رجعى أو تقدمى ، ثم ما صـــحة ما قرأناه فى مجلة « المصور » من استشراء الرجعية فى البـــلاد فى زمن الزحف الاشتراكى ؟ احمد بهـاء الدين قال أن هناك ستمائة الف رجعى مقابل ستمائة تقــدمى ٠

قال ((المخلص الراسى)) : أحمد بهاء الدين قال مقابل ستمائة شيوعى ، ولم يقل مقابل ستمائة تقدمى ٠٠ اذا اردت احصاء التقدميين ففى البلاد ستة ملايين تقــدمى ٠

قال الايديولوجى الفهلوى : هـــذا يعقد الامــور لان الشيوعيين المصريين منذ الاربعينات يحتكرون لقب التقدميين وهــذا قــد يحدث لبسا لانـــه قـد يوحى بأن البلاد فيها ستة ملايين شيوعى ٠٠٠ والحقيقة ان البــلاد فيهـا ، منــذ ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، ستة ملايين تقدمى اما الشيوعيون فعـددهم لا يتجاوز ستمائة ٠٠٠ ارجو النص يا سيدى الرئيس على هــذه الاعـداد ٦٠٠ شيوعى ٦٠٠ر٠٠٠ رجعى ٦ ملايـــين تقــدمى ، والا حــدثت بلبلة ٠

صانع الاقنعة : لا داعى للنص ، فالمسالة واضحة ٠٠٠ ومن لــه تحفظ فليؤجله الى آخر المناقشة ٠٠٠ هــذه نقطـة نظـــام ٠

الفارس المفروس : أولا انـا أحب أن اجيب على النقطـة الاخيرة وهى استشراء الرجعية بالذات فى عهد الزحـــف الاشتراكى ٠٠٠ ليس صحيحا ان هناك استشراء للفكـــر الرجعى ازاء التجـدد الاشتراكى لان الاستشراء لا يكـــون اســتشراء الا اذا استشرى والدليل على انه ليس هنـــاك استشراء ان وزارة الثقافة انشـأت فى ٢٣ يوليــو ١٩٦٣ مجموعة من المجـلات تلقفتها الرجعية لتاليب المثقفين عــلى مبادىء ميثاق ١٥ مايو ١٩٦٢ وكان اهمها المغفور لهمـــا « الرسالة » و « الثقافة » وقـد فعلت هـذه المجلات كل ما فى وسعها لتلفت الانظار ، فجمع كتابها كل ما فى الحوارى من طوب وزلـط وقطع حـديد خردة وصفائح سردين فارغة وزجـاجات مكسورة وبلغ قديمة واخذوا يرشقون بها المارة دون تمييز ومع ذلك لم يلتفت اليهم احـد ٠٠٠ وجربـــوا تلعيب الحواجب واخراج اللسان وبطح النفس على طريقـة الفلاحين المصريين لا على طريقة فقراء الهنود ، ومع ذلك لـم يجـد أحـد فى ذلك تسلية كبيرة ٠٠٠ ولما يئسوا جربـوا اللعب بالنار والمفرقعات فلم يخرج منها شىء اكثر من القمـر والنجوم وبومب العيد ، اسالوا ناظر مدرسة ابن العميد . وهو رئيسهم ٠٠٠٠ انـه جالس هناك ٠٠٠ رغم كل هـذه الالاعيب لم يزد توزيع « الرسالة » عن ٢٠٠٠ نسخة ٠ بدأ ٥٠٠٠ وانتهى ٢٠٠٠ كيف تفسروا هـذه الظاهرة ؟ أقـول

ان ماجد منذ الزحف الاشتراكى ليس ازدهار الرجعية بين المثقفين وانما مجرد تجمع عصابات مدربة معادية للاشتراكية.

ناظر مدرسة ابن العميد : هذا كذب « الرسالة » كانت توزع نصف مليون نسخة .

صانع الاقنعة : يا فارس يا مفروس اسكت ... احترم شيخوخة حضرة الناظر .

على المرء أن يسعى وليس عليه ادراك النجاح .

الفارس المفروس : انا فقط اردت ان اوضح ان البلد بخير .

..

الخشداش ايواظ : وكيف البت «الثقافة» و «الرسالة» المثقفين على مبادىء الميثاق ؟

على الزيبق الجوكى : انا أجيب على هذا السؤال .. الميثاق نادى بالتقدمية والنظر الى الامام . ومجلات وزارة الثقافة نادت بالرجعية وعبادة السلف ... الميثاق نادى بمساواة المراة بالرجل وبتحرير المراة من اغلالها ، ومجلات وزارة الثقافة نادت بانحطاط المراة وبضرورة اعتقالها فى الحريم ... الميثاق نادى بالاشتراكية العلميه ومجلات وزارة الثقافة نادت بالاشتراكية البورقيبية ... الميثاق مجد

رفاعة الطهطاوى ولطفى السيد وبفلسفة الاخذ والعطاء مع الحضارات الاخرى ومجلات وزارة الثقافة مجدت اغلاق النوافذ وتحسرت على انسلاخ مصر من الامبراطورية العثمانية الميثاق دعا لتنظيم الاسرة كجزء من برنامج التنمية ومجلات وزارة الثقافة كانحت تنظيم الاسرة • الميثاق دعا لتجديد الحياة على أرض مصر بالتجربة والخطأ فى الفكر والادب والفن والعلم والاقتصاد ، ومجلات وزارة الثقافة أعلنت ان كل تجديد خروج عى الدين والقومية وعلى نراث الآباء والاجداد ••• بل أكثر من هذا ••• ففى عصر الاقمار الصناعية والاوتوماسيون نشرت مجلات وزارة الثقافة ابحاثا ضافية لاثبات وجود العفاريت والبعابيع ••• كل هذا مدون بالحرف الواحد فى مجلات وزارة الثقافة •

صانع الاقنعة : انتقلوا الى الموضوع الاصلى •

المعلم العاشر : عندى تعريف للرجعية وهو تعريف اتيمولوجى وعضوى فى وقت واحد ••• الرجعية من رجع يرجع والرجوع طبعا لا يكون الا الى الوراء ••• ولم نر قط رجوعا الى الامام الا فى حالة واحدة هى بغلة البهاء زهير حيث يقول :

لك يا صديقى بغلة

ليست تساوى خردلة

تمشى فتحسبها العيـو

ن على الطريق مشكلة

وتخـال مـدبرة اذا

ما اقبلت مستعجلة

مقدار خطوتها الطويـ

ـلة حين تسرع انملـه

تهتز وهى مكانهـا

فكانما هى زلزلة ...

او على الاصح : بلغة البهاء زهير تتقدم الى الوراء ومن يستطيع ان يتقدم الى الوراء يستطيع ايضا ان يرجع الى الامام فالرجعى اذن هو من اراد للمجتمع او لنفسه ان يرجع الى الوراء ... واما منشؤها فهو اعتقاد الانسان ان حياة القدماء ، حياة الآباء والاجداد ـ والاجداد قبل الآباء ـ كانت العصر الذهبى للحياة اى حين كان الرجال رجالا ، قامة كل منهم متران .

ومن الناس من يعتقد ان الارض سكنها العمالقة بالفعل قبل انيسكنها البشر ... وبالطبع فى هذه الرؤيا للعصر الذهبى محال ان يكون هناك مكان لداروين ولاماركس وعامة أصحاب التطور المساكين أو الملاعين ، لان الاحياء كانوا كاملين ثم انحطوا درجة درجة مع توالى العصور

والدهور حتى آلوا الى هـذا المسخ الـذى نراه اليوم ، ولـم يكونوا انواعا سائحة ثم تطورت وارتقت درجة درجـة حتى خرج منها انسان اليوم ٠

صانع الاقنعة : على العموم « الرسـالة » و « الثقافة » اغلقتـا فى أوائل صيف ١٩٦٥ ، والضرب فى الميت حرام ٠

الايديولوجى الفهلوى : بعـد اذنك يا سيدى الرئيس المنابر ماتت ، نعم ٠ امـا الافكار فهى لا تزال ترعص ٠ ومن وقت لآخر ينجمع اصحابها مثل جماعات الكوكلوكس كـلان ويلبسون الزعابيط والطراطير البيضاء كالاشباح ، يرقصون حول النار ، ويطلقون السهام والاعيرة النارية مثـل الهنود الحمر والعيار الـذى لا يصيب يـدوش ٠ فيحسب النـاس انهم جيش من التتر ويدخلون البيوت ويختبئون ٠

ثم هناك مسألة التوثيق ٠ فالمؤرخ سنة ٢٠٠٠ لثقافة مصر بين ١٩٦٣ و ١٩٦٥ لن يعرف ان هـذه المجلات ماتـت بالسكتة القلبية ٠٠٠ من قلة التوزيع ٠٠٠ سيدهش حـين لا يجـد كلمة واحـدة فى صحافة مصر بين ١٩٦٣ و ١٩٦٥ ترد على ترهات مدرسة ابن العميد والخشداش أيواظ وعـز الدين ايدمر المحيوى واغاطبو زاده ، سيظن المؤرخ من نبرتها المجلجلة انهـا كانت تقود الرأى العام ضـد الميثاق ، لابـد

من سجل يعرف منه المؤرخ ان فى السويداء رجالا ٠٠٠ نحن لم نرفع الراية البيضاء ، والحرب لم تنته بعد ٠

ابو الفتوح الصباح : اذا كانت هذه هى الرجعية فأنا رجعى ، ولتحيا الرجعية ٠

الخشداش ايواظ : فلتحيا الرجعية ٠٠٠

كوراس من عز الدين ايدمر واغا طبوزادة وابو المعالى قطز وبازرعة بن شخبوط : فلتحيا الرجعية ٠

مجاهد بن الشماخ : انا سبق لى ان اوضحت كل هذا فى مجلة « الرساله » واثبتت ان الرجعية هى حياة السلف الصالح وان كل سلف صالح ٠٠٠ اهتفوا معى : فلتحيا الرجعية ٠٠٠ فليحيا العصر الذهبى ٠

الخشداش ايواظ : فليحيا الآباء والاجداد ٠

كوراس ايدمروطبوزادة وقطز وشخبوط : فلتحيا الرجعية فليحيا العصر الذهبى ، فلتحيا السلف ٠

كافور الحاوى : احذروا يا سادة ٠٠٠ هذا كمين ٠٠٠ لا تقولوا فلتحيا الرجعية ٠٠٠ كونوا رجعيين ولكن اهتفوا فلتسقط الرجعية ٠٠٠ وليكن هتافكم اعلى من هتاف التقدميين هذا منطق العصر ٠٠ كونوا رجعيين عصريين ، وانا معكم

انا مثــلا رجعى عصرى ، عندى دكتوراه من الخارج والبس جاكتة سكوتش واضع المنـديل فى كمى واشرب البيبة ٠٠٠ فلا يتصور أحـد انى رجعى ٠ ولكنى مع ذلك رجعى وعنـدى ان كل الرجال عبيـدوان كل النساء اماء ، انـا طبعـا لا اجاهر بهذا لانى عصرى ولكنى أطبقه عمليـا ٠٠٠ وفى الثقافة مثلا ٠ كنت اساعد الحلفاء ايـام الحرب بتجنيد المثقفـين لمؤزارة العالم الحـر فلما اتوكسوا فى العلمين وجـــدت ان صالح الوطن وصالحى يقضيان بأن ادرس كتاب « كفاحى » وان اهتم بنيتشه وفاجنر ٠ فلما سطع نجم حسن البنـــا وهنرى كوربيل فىوقتواحـد ارتبكت قليلا ، ولكنى وجدت الحل : دخلت الاخوان سرا وتزوجت من ماركسية علنـــا لاهـديها الى الصراط المستقيم ٠٠٠ كل هـذا مع محافظتى دائما على صلاتى بالديوان المـلكى ثم دخلت جنـة النقطـة الرابعة ٠ وهاذذا اليوم ارتع فى جنة الاشتراكية العربية كما ترون ، ومع ذلك فانا لم اتغير ٠٠ سلطتى زادت وشهرتى زادت ومحفظتى زادت ٠٠٠ طبعـا سمعتى ساءت بـين المثقفين ولكن ماذا يهم ٠٠٠ يقولون انى انتهازى ٠٠٠ ولكنهم مغفلون لانى فى الواقع رجعى ٠٠٠ رجعى عصرى ٠٠٠ وهناك آلاف مثلى ، رجعيون عصريون ٠٠ كلهم تعلموا فى الخارج وكلهم يشربون البيبة ويضعون المناديل فى اكمامهم ، ومع ذلك ليست لهم سمعة اطلاقا ٠٠٠ فلماذا كل هـذا الضجيج حول سمعتى؟

انــا انتهازى ؟ فليكن ··· ربما كنت انتهز ، ولكنى لا أنتهز لنفسى فقط وانما انتهز لمبـدئى أيضا ـ أليس هـذا ما يفعله على الزيبق الجوكى ؟ هـو يفعل الشيء ويسميه « مرحلية » لانــه جوكى ··· لانه مولع بالسباق ··· عنـدى أن المرحلية هى المعادل الموضوعى للانتهازية على النطاق السلوكى ··· المعادل هـو القناع أو البرقع ···· القناع للمذعورين ··· البرقع للضعفاء ··· وانـا قوى ، فانا بغير حاجة الى معادل ·· انــا ادخل راسا فى الموضوع الكارت على المـائدة ··· وانا قوى لانى حللت مشكلة الضمير ··· لا اقنعه ··· لا براقع لا ضمير ··· لا نفـاق ··· لهـذا انــا واضح ومفهوم امـا على الزيبق لجوكى فغير واضح وغير مفهوم ··· المهم ان يخـدم الانسان مبـدأه فى كل زمان ومكان وتحت أى ظروف ·· وما جدوى المبـدأ بغير صاحب المبـدأ ؟ لهذا كان شعارى دائما « انج بجلـدك » ··· وافضل طريقة معروفة للنجـاة بالجلـد هى تغيير الجلـد ، وعندى ان تغيير الجلـد افضل من لبس القنـاع ··· وبـلا قناع اقول انـا مبدئى الفرديـة لانى فرد ··· انا اعرف انى انـا ولست غيرى ··· والوجود عنـدى مكون من « انـا » فى طرف و « الآخرين » فى الطرف الآخر ·· والآخرون لا وجود لهم الا من خلالى ، فوجودى هو دليل وجودهم ·· انا اعرف انى فرد ولست جماعة ·· وسأظل فردا حتى يثبت لى ابن سيركوف وابن موركوف انى جماعة

٠٠ ولكن ليس من الحكمة الآن أن أعلن فى كل مكان انى فرد مادام كل فرد فى مصر يصر على انه جماعة ٠٠٠ أنا باختصار وصلت لحل المعادلة الصعبة وهى كيف تكون فردا وجماعة فى وقت واحد بالمعادل الموضوعى : أنا والكون طرفا المعادلة ٠٠٠ والكون هو معادلى الموضوعى على النطاق الفلسفى ٠٠٠ فى الواقع ليست هناك مشكلة حقيقية أيها السادة ٠٠٠ انا اكتشفت أولا ان التقدمية هى ان اتقدم أنا فى المناصب وفى الثروة وفى السلطة وفى السلم الاجتماعى ، واكتشفت ثانيا ان كل الناس ادوات للتقدم ، وبالتالى يجب ان يكونوا ادوات لتقدمى ٠٠٠ وبهذا اصبحت المشكلة كلها عندى مشكلة لغوية ٠٠٠ انا اكتشفت ان اللغة اداة للتفاهم ٠٠٠ أداة للاقناع ٠٠٠ اكتشفت انه باللغة يمكن اثبات أى شيء وكل شيء ٠٠٠ كل الناس تحاسبنى على كلامى ٠٠٠ لم اجد احدا يحاسبنى على افكارى أو اعمالى الفرق بينى وبين على الزيبق الجوكى هو انه يريد اقناع نفسه قبل اقناع الغير ٠٠٠ أما أنا فاكتفى باقناع الغير

٠٠ كل هذا بسبب الضمير وأنا تخلصت من مشكلة الضمير٠٠ أنا وضعت فى حجرة نومى لافتة بالخط الثلث بكلمات سيد درويش الخالدة : « عشان ما نعلى ونعلى ونعلى لازم نطاطى نطاطى نطاطى » ، حتى افتح عليها عينى كل صباح وتكون آخر ما أراه قبل النوم ٠٠٠ ولكن المؤسف فقط هو انى لم اصل الى شيء كثير يتناسب مع مواهبى ٠٠٠ ولكنى مع ذلك

وصلت لشىء ··· ثـم لابـد من تفصيل لغـة لكل مخاطب · مثلا : عندما تخاطب الكلب تل له : يا سيدى ·· فيفرح الكلب ويعتقـد انـه الانسان وانك انت الكلب ··· مثلا ، ان كنت فى بلـد تعبـد العجل ، فحش ، وارم له ··· وهـذه لغـة عملية موضحة بالفعل والشرح المادى الملموس ··· العجل الآن هـو الاشتراكية التقدمية · حشوا ايهـا السادة ··· وارموا ايهـا السادة ، حتى يتخم العجل ويكبس الحشيش على نفسه فينـام ، وينام ، وينام من الوخم ، وعنـدئذ تقـدموا أنتم بالسكاكين ··· ايهـا الرجعيون طهروا صفوفكم من الاغبياء اهتفوا معى : فلتسقط المرأة الذهبية : فلتحيا المرأة المتحررة ··· ايهـا الفرديون ! اهتفوا معى : فلتحيـا الاشتراكية : تحيـا وحـدة الانتهازيين والمرحليين ·

الذاتى الموضوعى : بالضبط ··· بالضبط هـذا من اوليات الوضعية المنطقية ·

أبو الفتوح الصباح : كلا ··· كلا ··· فليسقط داروين ··· فليسقط لامارك ·

مجاهد بن الشماخ : نعم ··· فليسقط المبشرون ··· فليحيا السلف ··· فليحيا العصر الذهبى ·

صانع الاقنعة : النظام ··· النظام ··· فلنعـد الى الموضوع ··· استمر ·

المعلم العاشر : نعود الى تعريف الرجعية ··· أقول : كانت النساء نساء فى العصر الذهبى · وهنا تختلف الافكار عن

نساء العصر الذهبى المنسوخ بحسب ظروف كل منا ، ولاسيما ظروفه المنزلية ... فبعضنا يتأوه على ضياع سلطان الرجل حتى فى عقر داره ، ويندب الايام التى كان الرجل فيها يقطب فيرتجف كل من حوله من اناث وبنين ، أو يزعق فتتشـــقق جدران البيت وتتعلق انفاس الهواء فرقا .... وبعضنا يتأوه على ضياع أنوثة الاناث ويستغرق فى احلام رشـــــيدية ، أكثرها خرج من ألف ليلة وليلة ، عن نساء يجدن التعطـــر والتطيب ويلبسن سراويل الخـز والدمقس ، ويســدلن على وجوههن نقـابا أرق من نسيج العنكبوت ، وقـد جلسن على أرائك يدندن على العـود أو يرقصن وهن يشخشخن على الصنوج وهنـاك نماذج قليلة باقية الى اليوم من هـــذه الاجناس المنقرضة يراها السياح عـادة فى كباريهات القاهرة بين منتصف الليل والواحدة صـــباحا ، ويراها المصريون كثيرا فى التلفزيون العربى وفى أفلامنا القومية ، ولـــكن النفس تعافها لانهـا تـدندن للجميع وتشخشخ للجميع ، أمـا نساء الزمان الغـــابر فكن يـدندن ويشخشخن كـل لرجلها فقط وهـذه مأساة عصرنا ... هـــذه الصـورة الجميلة العاطرة لاناث الامس يقابلها بعضنا بصورة اناث اليوم المسترجلات ، منهن من يلبسن البنطلونات فعـــلا ويلعبن الالعاب الرياضية ، وحين يطلبن المرح يدبـــدبن بأرجلهن فى جنون على الباركيه فى الســوينج والتويست والروك أنـد رول ويسمين هـذه الدبدبة رقصا ! كل هـذا

يدل على انحطاط الانسانية وافول عصرها الذهبى ، لان الرجال لم يعودوا رجالا والنساء لم يعدن نساء وكل شيء آيل الى فساد .

ابو الفتوح الصباح : ما كل هذا الكلام الفارغ ... نحن لم نأت هنا لنسمع هذا اللغو عن الدندنة والشخشخة وعن النساء المستهترات ... تكلم فى الموضوعات الجادة ... تكلم عن مخافة الله ، عن الصوم والصلاة ، عن عدل الولاة ... عن تآخى المؤمنين ... تكلم عن وداعة القلوب ... عن سياسة الرعية . عن تقوى العباد ... كل هذه امور تهم المجتمع . اما هذه الاحلام الرشيدية عن النساء فهى من مظاهر انحطاط المجتمع بعد ان فقد الدين سلطانه على النفوس ايام المدنية العباسية تكلم عن السلف الصالح .

المعلم العاشر : انا أبدأ بالمراة لان المراة نصف المجتمع . اعتقد ان كل مجتمع فيه نساء بنسبة ٥٠٪ على الاقل ، واحصاءات هيئة الامم المتحدة تؤكد ان عدد النساء فى العالم اكثر من عدد الرجال . انا لا أستطيع ان اتجاهل ٥٠٪ من البشر ... حتى السلف كان بينهم دائما ٥٠٪ من النساء ... انا اعتقد ان اى كلام عن المجتمع لا يبدأ بالحديث عن النساء كلام فارغ ومضلل . خذ اى شريحة فى المجتمع تجد ان نصفها من النساء ... الطبقة الحاكمة نصفها من النساء .

الذاتى الموضوعى : هـذا صحيح من الناحية المنطقية • الكلام يكون أولا عن الجنس ثم عن النوع ثم عن الفصل ثـم عن الخاصة ثم عن العرض العام ، ومنهج المعلم العاشر متمش مع منهج ارسطو فى الاورجانون •

ابو الفتوح الصباح : اذن دعوتا من الدندنة والشخشخة وذكر هـذه المذكرات ••• الرؤيا الرشيدية لرجـال العصر الذهبى ونسائه ليست سائدة فى عقـول الكثيرين فاكثـر المتأوهين على ضياع العصر الذهبى لا يفتقدون ضـياع الانوثة فى النساء بـل يفتقدون ضياع الرجولة فى النساء : ايـام ان كانت المرأة مبنى ومعنّى ، شكلا ومضمونا ، جـدا فى جد ، تقف صاغرة أمام وليها ولكنها تقف كالرمح السمهرى أمـام الآخـرين ••• اذا وقفت ، كـلا • انـا آسف هـذه أيضـا ليست صورة صحيحة لنساء العصر الذهبى ، لانها صورة أمازونية يونانية عن النسـاء المحاربات • وهذه لهـا ما يقابلهـا حقـا فى الادب العربى القديم حيث نجـد الزباء والخنساء وجليلة بنت مرة وزرقاء اليمامة والاميـرة ذات الهمة وشجرة الـدر يبرزن مثل جان دارك بروز الرجـال للرجال مستصرخات أو مستنهضات أو مبارزات وهن ينشدن النشيد القومى الذى الفـه عمـرو بن كلثوم وضاعت منـا نوتته الموسيقية :

الا هبى بصـحنك فأصـبحينا
ولا تبقـى خمـور الاندرينـا

اذا بلغ الفطام لنـــا رضيع

تخـــر لـه الجبـابر ساجـدينا

ملأنـا البـر حتى ضاق عنـا

ونحـن البحـر نملؤه سـفينا

ولكن هـذه الصورة برغم هـذا صورة غير تقليـدية عن نساء العصر الذهبى • فنساء العصر الذهبى كن يقرن فى بيوتهن ولا يسفرن الا لـذوى الارحام من المحارم او الغلمان ــ دون سن البلوغ ، ومن باب أولى لا يتبرجن الا لازواجهن • وهنا تختلف الآراء فى تحـديد معنى العورة ، وفيما يجوز فيه السفور ومداه ، فمن قائل انـه كان يقتصر على الوجـه واليـدين ومن قائل ان الخمـار عـادة تركية دخيلـة على نساء العـرب ••• الخ • وايـا كان الامـر فهذه التفاصيل الشائكة كلهـا لاتهم الا المجتهدين ، وانما المهم هـو الصورة العامة والصورة العامة هى ان نساء العصر الذهبى كـن نساء فضليات ، ومقياس الفضيلة انهن كن يعشن لازواجهن وفى أزواجهن : يرتبن لهم طعامهم ومنامهم ويلـدن لهـم بنيهم ويسهرن على تربية هؤلاء البنين • فاذا اخـذت احداهن من العلم شيئا فهو لا يخرج عن حـدود وظيفتهـا الاولى فى الحياة وهى الاطعام والانامة وتربية الاولاد والبنات حتى التاسعة والحادية عشرة بحسب الجنس • قارنوا هـذا بنساء اليوم المارقات الابقات الناشزات اللواتى يهجرن البيوت

ويتعلمن اللغــات والتاريخ والجغرافيا والاقتصاد والسياسة والفيزياء والكيمياء وحساب المثلثات واللوغاريتمات ويشتغلن بالطب والقانون والصيدلة والبيطرة والهندسة والتعــدين والغزل والنسيج والمحاسبة والادارة والسكرتارية والصحافة والنحت والتصوير والعزف والتمثيل والرقص الايقاعى وغير الايقاعى امــام الجمهور • حتى غزو الفضــاء دخلت فيــه فالنتينا • وهى كلهــا معارف لا تفيــد فى طعام زوج أو انامة حليل أو تربية بنين • بــل قارنوا هــذا بنساء اليوم الفاجرات اللواتى يتبرجن أمــام الخاص والعام بمستحضرات مــاكس فاكتور وهيلينا روبنشتاين وبتقاليع جاك فات وكريستيان ديــور ، ويبدين فتنهن فى السينمــا والمسرح وفى الشــارع والنــادى ، ويخرجن شبه عرايــا على البلاجات • قــارنوا وقارنوا تروا ان نساء العصر الذهبى كن مثــال الفضــيلة أمــا نساء اليوم فهن مثال الرذيلة •

ابــو الفتوح الصباح : احسنت يــا استاذ أحسنت •

المعلم العاشر : هل كنت امينا فى وصف نســـاء العصر الــذهبى ؟

ابــو الفتوح الصباح : غاية فى الامــانة هكــذا كانت نساء السلف الصالح • ولــن تقوم لمجتمعنا قائمـــة الا اذا رجعت نساؤنا الى الفضيلة الاولى •

على الزيبق الجوكى الشهير بالزنبرك : اذا كان هــذا

رايك فلماذا ارسلت بنتك الصغرى بمفردها لتدرس الهندسة فى لندن بين غير ذوى الارحام وغير المحارم وكلهم عيونهم زرق وتجاوزوا سن البلوغ ؟ الا تخشى عليها من الفتنة ؟ ثم انى رأيت السيدة المصونة زوجتك مع بنتيك الناهدتين خارجتين أول أمس من « ايرماالادوس » فى سينما قصر النيل٠

ابو الفتوح الصباح : اخرس يا ولد ٠

صانع الاقنعة : التهجم الشخصي ممنوع اعتذر له ٠

على الزيبق : متأسف ٠

صانع الاقنعة : هل الترضية تكفى ؟

ابو الفتوح الصباح : مؤقتا حتى نخرج من هنا ٠ وسأحطم وجهه ٠

الايديلوجى الفهلوى : حذار ٠ على الزيبق لا يحطم لانه كالزنبرك ، كالياى الاصلى ينكمش وينفرد بمرونة شديدة وبقوة شديدة واذا لم تلتفت لنفسك فربما انفرد بك فوجدت نفسك طائرا فى الهواء ٠

المعلم العاشر : هل انت واثق من انك وصفت نساء العصر الذهبى بامانة ؟

ابو الفتوح الصباح : بالتاكيد ٠

المعلم العاشر : وكيف تاكدت ؟

ابو الفتوح الصباح : كيف تأكدت ؟

المعلم العاشر : نعم كيف تأكدت ٠ هل رأيتهن بعينيك

أبو الفتوح الصباخ : ما هـذه السخافة . طبعا لا نحن نعرف هـذا من كلام السلف من كتب القدماء .

المعلم العاشر : هل تقبل كتب السلف كمرآة للحيـاة فى ذلك العصر .

مجاهد بن الشماخ : وهل هناك مرآة غيرها ؟ اسألونى عن اى شىء فى أدب العرب ، من جـدى الشماخ بن ضرار فى الجاهلية الى ان غربت شـمس الاندلس آتيكم بالخبر اليقين والعصر المملوكى التركى والتركى المملوكى ايضـا اذا اردتم وكل شىء حـدث منـذ بونابرت اللعين حتى ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ . امـا بعـد هـذا فذاكرتى لا تعى شيئا لان الحوادث كانت اسرع من قـدرتى على التعلم .

المعلم العاشر : اتفقنا اذن الادب مرآة الحياة . ولكن الدلائل تـدل ، بحسب ما يعرفه عشاق الادب العربى ، على أن نساء العصر الذهبى ، ولاسيما الارستقراطيات وبنـات العائلات كن لا يختلفن كثيرا عن نساء اليوم . أنظر مثـلا الى المعرى . المعرى كتب نحـو عشر قصائد فى اللزوميات يندد بتعليم البنات ، ومعنى هـذا ان العرب فى زمن المعرى كانـت عندهـم مدارس بنـات . ربما لم تكن اسماؤها بنباقـادن الثانوية للبنـات او مدرسة أم الحسنين ، ولكنهـا كانـت مدارس بنات على كل حال . ولو ان المعرى كتب قصـيدة

واحـدة ضـد تعليم المرأة لقلنـا انـه ربما اغتاظ من قريبة أو جـارة أرادت ان تتفلسف أو تتحذلق فارسلت بنتها الى المـدرسة ، ولكن عودته الى هـذا الموضوع مرارا وتكرارا يـدل على انه كان يناهض ظاهرة اجتماعية متفشية ، كمـا كان قاسم امين أو لطفى السيد مثلا ، على العكس منه ، يكتبان مرارا وتكرارا فى ضرورة تعلم المرأة فنفهم من ذلـك عزوف المصريين وقتئذ عن تعليم بناتهم · واذا لـم تكن هناك مدارس بنـات فلابـد انه كان هنـاك مدرسون خصوصيون يترددون على البيوت ··· والارجح ان العرب عرفوا المدارس والدروس الخصوصية على السواء . المـدارس لابنـاء وبنات الناس العاديين والدروس الخصوصية لابناء وبنات الذوات· حتى الجوارى والعبيد نعرف من المعرى ان منهم من كان متعلما فهـو يحدثنا فى « رسـالة الغفران » عن الجارية توفيق السوداء التى كانت تعمل فتـاة مكتبة فى مكتبة بغـداد أيـام المـأمون تناول الكتب للقراء والنساخ ومحال ان نتصور ان الجارية توفيق كانت اميـة ومع ذلك كانت تميز بين ديوان الخطيئة وديوان ابن الزبعرى ، فلابـد انهـا تعلمت سواء فى مدرسة أو على يـد مدرس خصوصى ··· صحيح ان بنات العصر الذهبى لم يشتغلن بالعلوم الرياضية والطبيعية ولكنهن اشتغلن بالتجارة والسياسـة والحرب والادب وإدارة الفنادق وكن يـدرن الصالونات الادبية تماما مثـل مـدام دى مانتنون.

ومدام دى بارى ، وكن يقدن المظاهرآت ، فانا لا أجد فرقا بين السيدة التى خرجت تستنهض همة المعتصم بالله بعد غزوة من غزوات الروم وتهتف : « وامعتصماه ! » وبين لطيفة الزيات حين كانت تهتف عام ١٩٤٦ بين طلاب الجامعه : « فليسقط الاستعمار ! » أو « الكفاح كفاح الشعب ! » • انا لا اجد فرقا أبدا بين نساء العصر الذهبى ونساء اليوم • ومن رأيى ان تمنح وزارة الثقافة منح تفرغ لنقاد مجلة « الرسالة » ومجلة « الثقافة » ليدرسوا من كتب العرب أنواع الاعمال التى كانت تزاولها نساء العرب وليدرسوا نسبة التعليم بين بنات العرب بدلا من الجلوس فى ناصية الشوارع وقذف المارة بالطوب •

صانع الاقنعة : أنت استوفيت هذه النقطة فانتقل لغيرها حتى نسمع غيرك قبل ان نأخذ الاصوات على القضية المطروحة وهى : هل هناك فرق بين نساء اليوم ونساء العصر الذهبى •

الايديولوجى الفهلوى : سيدى الرئيس ، القضية المطروحة اعم من ذلك • الاصوات ينبغى ان تؤخذ على الوجه التالى : هل هناك عصر ذهبى وعصر فضى وعصر برونزى وعصر حديدى كما كان يقول ادباء اوروبا ؟

المعلم العاشر : انا اقول ان العصر الذهبى خرافة ابتكرها خيال هسيود فى « الثيوجونيا » فى القرن التاسع

ق.م. ثم تبنتها الرجعية الآوربية لتثبت ان الامس كان خيرا من اليوم ولتجعل عيون الناس فى اقفيتهم فينظروا دائما الى الوراء .

وسأعود الى هذه النقطة بعد ان افرغ من الكلام عن نساء العرب ، الشعر العربى وحده كاف لاثبات ان نساء العصر الذهبى كن لا يختلفن كثيرا عن نساء اليوم . امرؤ القيس مثلا قال فى شعر سيدة من سيدات المجتمع :

غدائره مستشزرات الى العلا

تضل العقاص فى مثنى ومرسل

وهذا يثبت انها كانت تتردد على الكوافير بانتظام وتجرب مودة الكريباج والبوستيش والشينيون والكالتوجان والا فكيف استشزرت (اى اشرأبت) غدائر المحبوبة الى العلا ، وكيف تاهت الامشاط بين الشعر المرسل والشعر المجدول ؟ وامرؤ القيس كان دائما يتتبع مودة الشعر فهو القائل فى مودة ديل الحصان :

وفرع يزين المتن اسود فاحم

أثيث كقنو النخلة المتعثكل

اى شعر يزين الظهر كثيفاً الخ ... وليس من الضرورى ان يكون الكوافير سقراط او انطوان تنتقل النساء الى دكانه فالارجح انه كان بلانة من طراز راق يتردد ابونيه على قصور امراء العرب او كوافيره خصوصية فى بلاط الملوك .

أبـو الفتوح الصباح : الجاهلية ليست مقياسا للعصر الذهبى لان الجاهلية الاولى عرفت بالتبرج ، وربما بقيت بعض تقاليـد من هـذا التبرج فى الجاهلية المتأخرة ... العصر الذهبى يبـدأ بالمـائة الاولى :

المعلم العاشر : ومتى ينتهى ؟

صانع الاقنعة: اسحب هـذا السؤال لانه سيبـدأ الشغب ، إنظر . هنـاك من يصيح : العرب فسدوا بعـد الخلفاء الراشدين . الشاب الظريف أبو سنة دهب لـولى يهتف تجيـا ذكرى أبى نواس ! لا ذهب الا ذهب العباسيين ! أبو فراس المنوفى يصيح : مولاى لا تنس الاندلسيين اسحب هـذا السؤال ..

المعـلم العاشر : سحبته . سـأتكلم عن المـائة الاولى فقط فالـكل متفق عليها لانها كانت عصر الفتوحات العظيمة أنا أقول ان نساء العصر الذهبى فى المـائة الاولى كن يعرفن مودة مارى انطوانيت فى تصفيف الشعر ، بدليل قول عمر بن أبى ربيعة :

ولهـا اثبت كالكـروم مـذيل

حسن الغـدائر خالك مضـفور

وانهن كن يعرفن الشنيون بدليل قوله :

سبته بوحف فى العقاص موجل

اثيث كقبـو النخلـة المتكـور

وانهن كن يعرفن المانكير بدليل قوله :

ومخضب رخص البنان كأنه

علم ومنتفخ النطاق وثير

فاستعمال الاكلادور اذن لم ينتشر فى عصور الانحطاط كما كانوا يعلموننا فى المدارس مستشهدين بقول القائل :

فأمطرت لؤلؤا من نرجس وسقت

وردا وعضت على العناب بالبرد

اى عضت بأسنانها على اظافرها المدهونة ، وانما كان شائعا فى المائة الاولى ٠

قال صانع الاقنعة : من اراد مزيدا من التوثيق فليرجع الى صبح الاعشى والى الاغانى ٠ لقد تجاوزنا الوقت المقرر لاستعمال المانيكير والباديكير عند العرب ٠

رفعت الجلسة ٠

× المحاورة الثانية ×

فى المرأة الذهبية وسلوكها الذهبى

صانع الاقنعة : المعلم العاشر أوضح فى الجلسة السابقة ان عنيزة صاحبة امرؤ القيس وعائشة بنت طلحة صاحبة عمر بن أبى ربيعة كانتا تترددان على الكوافير وتستعملان المانيكير ، واثبت من كلام المعرى ان العرب كانت عندهم مدارس بنات • هل بينكم من ينكر هذا ؟

أبو الفتوح الصباح : حتى اذا كان هذا صحيحا فلابد ان الحلاقات ـ استغفر الله ـ كن من النساء والمؤدبات كذلك ، وان تعليم البنات كان يقف عند فك الخط وجدول الضرب واصول الدين •

المعلم العاشر : ولكن تعليم البنين فى العصر الذهبى كان يقف ايضا عند فك الخط وجدول الضرب واصول الدين • نحن لم نسمع عن كليات حقوق وهندسة وصيدلة وطب بيطرى ومعاهد تكنولوجيا فى العصر الذهبى ، لان الحرف

والصناعات كانت تتوارث فى الاسرة وفى الورش يلقنها المعلمون للصبيان ، تماما كما كان يحدث فى أوروبا فى العصور الوسطى ·

على الزيبق الجوكى الشهير بالزنبرك : ابو الفتوح الصباح يقترح اذن أن يصدر مجلس الامة تشريعين : قانون يحرم على الرجال الاشتغال بمهنة كوافير السيدات وقانون بالغاء الكليات النظرية والعملية والمعاهد العليا والمدارس الثانوية والاعدادية حتى نرجع الى العصر الذهبى · يجب الاكتفاء بالتعليم الابتدائى ·

مجاهد بن الشماخ : الوالى وليس مجلس الامة · فالعصر الذهبى لم تكن فيه مجالس امة ولا هذه السخافات المستوردة التى تسمونها برلمانات ·

صانع الاقنعة : نقطة نظام · هذا خروج عن الموضوع · موضوع نظام الحكم يبحث فى جلسة قادمة ·

ابو الفتوح الصباح : قانون الكوافيرات نعم · أما الغاء الجامعات وكل مراحل التعليم فوق الابتدائى · فهذا شطط واساءة فهم لمعنى الرجعية · العلم نور · وكل مزيد من التعليم نور على نور فى قلب الانسان لا فى عقله · واذا كان ذهب العصر الذهبى من عيار ١٤ فمن الانفع أن نجعله عيار ٢٤ · وانما المهم ان يملا العلم قلب الانسان بالايمان والفضيلة والا تذهب البنات الى المدارس الا فى الزى الرسمى

لنساء العصر الذهبى • وقد نسى الميثاق ان ينص على هذا ولابد من استكمال هذا النقص • والزى الرسمى لنساء هذا العصر الذهبى هو الفستان المقفل عند الرقبة والمتدلى حتى الكعبين والاكمام الطويلة حتى الرسغين ، اما الوجه فيمكن ان يسفر أثناء المحاضرات وفى أوقات العمل الرسمية ولكن لابد من طرحة على الراس تخفى أولا عورة الشعر ويمكن ثانيا اسدالها ورفعها بحسب الظروف • اسدالها فى الشارع مثلا ، وفى السينما أو المسرح وقت الانتراكت واضاءة الانوار • ويمكن لتسهيل هذه العملية التحكم فى الطرحة بكردون وبكر يثبت فى الخصر على طريقة الستائر • ثم لابد من قانون بتخصيص بلاجات خاصة بالنساء وبلاجات خاصة بالرجال • رحم الله الشيخ ابو العيون •

المعلم العاشر : هذه صورة غير دقيقة عن نساء العصر الذهبى فمن الشعر العربى نعرف ان نساء العصر الذهبى كن يتبخترن عرايا على البلاجات واحيانا فى غير البلاجات • خذ مثلا « المتجردة » زوجة النعمان بن المنذر ملك الحيرة كان النابغة الذبيانى يتجول فى ابهاء قصرها فرآها تتجرد •• اعتقد انها كانت تتجرد « داخل » الحمام ، وان النابغة كان ينظر اليها من ثقب الباب ، لان الوصف يوحى بأنها كانت تحس بوجود متفرج ، وقال النابغة الذبيانى فيها :

سقط النصيف ولم ترد اسقاطه

فتناولته واتقتنا باليد

والنصيف ليس بالضبط البيكينى ، ولكنه ازار أو فوطة أو ربما بشكير ، وعلى أيــة حال فسقوطه كشف عن كل شىء ولهـذا « اتقتنا باليــد » • شعر القـدماء يثبت أن نســاء العصر الذهبى كن كنساء اليوم يتبخترن عرايا على بلاجات البصرة والحجاز • فمعلقة امـرىء القيس تشير الى مغـامرة كانت للملك الضليل على بـلاج جلجل ، وهـو شاطىء بركة بجـوار البصرة فيما يقـال ، فهو يقـول :

الا رب يـوم لـك منهن صالح

ولا سيما يـوم بـدارة جلجـل

وتفسيرها فى كتب العرب ان امرأ القيس لعـب نفس اللعبـة التى لعبهـا من قبله الاله كريشنا فى ادب الهنود ، ففاجأ البنات وهن يغتسلن فى بـلاج جلجل واخـذ ثيابهن وقعـد عليها ، وابى ان يعطى كلا ثوبهـا حتى تخرج اليـه عارية وتأخـذه منه بنفسها ولو ظلت فى الغـدير الى الليل • وغلبهن الحيـاء أولا فمكثن فى المـاء حتى ارتفع النهـار ، ولكنهن خفن أخيرا من الألتهاب الرئوى أو الانفلوانزا الحادة على اقـل تقـدير فرضخن وخرجن الواحـدة بعـد الاخرى • وكانت اشدهن حيـاء حبيبته عنيزة ،ولكنها فى النهـاية رضخت مع الراضخات • واحسسن بالجوع فذبح لهن ناقته فأكلوا وشربوا فياسكة من افخر النبيذ، وطربوا وغنوا ثـم حملته عنيزة معها داخل هودجها بعـد ان فقـد ناقته ، وبعـد

الاقداح كانت القبلات • ولم يكن هناك على بلاج جلجل بوليس آداب ليمنع كل هذا • فانظر كيف تقدمت آداب المحدثين على أداب القدماء •

ابو الفتوح الصباح : النعمان بن المنذر وامرؤ القيس عاشا فى الجاهلية • هذا لا يقاس عليه •

المعلم العاشر : نفس هذا المشهد تكرر بعد سنوات حين نزلت البنات بلاج الغيل فى الحجاز فأخفى الشاعر ثيابهن واذا قلت انالنعمان بن المنذر وامرأ القيس كانا فى الجاهلية فما قولك فى حكايات عمر بن ابى ربيعة وغيره مع نساء العصر الذهبى فىالمائة الاولى ، أو على الاقل قبل أن تسوء سمعة المجتمع العربى بما قاله ابو نواس وما فعله هو وجيله السىء السمعة • والغيل بركة أو بحيرة او نبع قرب مكة • أو لعله غابة تجرى فيها جداول المياه كما ورد فى «اللسان» وليس من الضرورى أن يكون اسم البلاج مضحكا مثل جلجل أو غريبا مثل الانفوشى أو صعبا مثل جليمونوبولو أو أعجميا مثل الريفييرا لنسميه بلاجا • انظر مثلا الى بلاج جمصة الذى كنا فيه • من رآه ظن انه فى فلوريدا أو كاليفورنيا ومع ذلك فاسمه جمصة ومحافظة الدقهلية لا تخجل من ذلك ومن اقام فيه نسى ان مصر تجرى فيها تجربة اشتراكية •

صانع الاقنعة : أنت تستطرد ، عد الى الموضوع الاصلى •

المعلم العاشر : الموضوع الاصلى ؟ عمر بن أبى ربيعة كانت هوايته الخاصة التسكع فى مواقع الغيد على البلاجات ، وآداب المحدثين ليست احط من آداب القدماء ، انظر الى الدالية :

ولقد قالت لجارات لهــا
وتعــرت ذات يــوم تبتــرد :
اكمــا ينعتنــى تبصرننــى !
عمركـن اللــه أم لا يقتصــد
فتضاحكن وقـد قلن لهـا :
حسـن فى كـل عـين من تـود
حسـدا حملنــه من اجلهــا
وقـديما كان فى النـاس الحسـد

فعمر بن أبى ربيعة لم يكن فقط يتلمظ بمراى البنات على البلاج من بعيد ، ولكنه كان على بعد مترين ، والا فكيف استطاع ان يسمع كل هذا الحوار ؟ ثم ان التقبيل نفسه فى العصر الذهبى كان على احدث طريقة سينمائية نستهجنها فى غرام العصر الحديث ، وتقصها الرقابة من أفلام م٠م و ب٠ب واعتقد انها قصتها مؤخرا من « الدولشى فيتا » ومن « هيروشيما يا حبى » ، وهى ان يمسك الفتى بالبنت من شعرها ويقبلها ، ففى شعر عمر بن أبى ربيعة انها :

قالت : وعيش ابى وحرمة اخوتى
لا نبهــن الحــى ان لــم تخــرج

فخرجت خوف يميتها فتبسمت

فعلمت ان يمينها لم تحرج

فلثمت فاها آخذا بقرونها

شرب النزيف ببرد ماء الحشرج

والقرون بلا مؤاخذة هى الشعر والحشرج اسم نبع . ولو ان عمر بن آبى ربيعة كان وحده فى هذا المضمار لقلنا انها حالة فردية لا يجوز لنا أن نستخلص منها صورة رجال العصر الذهبى ونسائه . ولكن أمثاله كانوا كثيرين . مثلا عبد الله بن قيس الرقيات وهو أيضا من قريش كان يعشقهن ثلاثا ثلاثا ، وقد سمى بالرقيات لانه احب ثلاث بنات كل منهن باسم رقية ، وجميل بن معمر ، وقد كان من الشباب الارستقراطى فى بنى عذرة ، قال صراحة انه يفضل غزو القلوب على غزو الامصار :

يقولون جاهد يا جميل بغزوة

وأى جهاد بعدهن اريد ؟

لكل حديث بينهن بشاشة

وكل قتيل بينهن شهيد

ونحن عادة لا نفكر طويلا فى الطريقة التى تسلق بها روميو من حديقة آل كابيوليت الى مخدع حبيبته جولييت ليقضى معها الليل . ولا اظن انه تسلق على المواسير ، والارجح انه استعمل سلما مجدولا من الحبال الحريرية . تقولون : ولماذا الحريريه ؟ اقول لتنسجم مع الجو العاطر

فى حديقة الورد ومع الليل الساجى والنسيم الهفهاف وصدح العنادل فى الليل والقبرة مع أول انفاس الفجر ٠ والفرزدق مر بتجربة مشابهة فى البصرة فيما اعتقد كما يستفاد من وصفه :

هما دلتانى من ثمانين قامة
كما انقض بازاقتم الريش كاسر
فقلت ارفعا الامراس لا يشعروا بنا
وافلت فى اعجاز ليل أبادر

الارجح ان « هما » تعود على سيدة الفؤاد وجاريتها ولا تعود على سيدتين تربعتا على فؤاد الفرزدق أو استقبلتاه فى سرير واحد ٠ اقول هذا على الاقل احتراما للفرزدق وصاحبته ٠ وهو موقف يذكرنا بماكان يفعله اللورد بيرون مع الكونتيسة جيتشيولى ويبدو ان الفرزدق كان متمرنا على الصعود والهبوط بالامراس (اى الحبال) ، لان هبوطه السريع كانقضاض الباز الكاسر يثبت انه كان يعرف موضع قبضته من الحبل كالبهلوان ولكنى لا اشك فى ان خيال الفرزدق كان خصبا الى حد المغالاة ، بل واتهمه بالفشر على الاقل فى وصف التفاصيل ٠ فهو يقول انه تدلى من ثمانين قامة ، وثمانون قامة معناها ١٤٠ مترا ، اى ان شقة المحبوبة التى قضى معها الليل كانت فى الدور الثلاثين ، ولا اعتقد أن البصرة عرفت ناطحات السحاب فى المائة الاولى لان الاسمنت المسلح والاسانسيرات لم تكتشف الا فى القرن التاسع عشر ٠ ثم انه لا شك يفشر حين يقول : فقلت ارفعا

الحبال حتى لا يشعروا بنا وانه افلت فى اعجاز الليل يبادره قبل ان يدركهم نور الفجر فيفتضح أمرهم . فلو انه قال من هذا شيئا يمكن أن يسمع على ارتفاع ١٤٠ مترا لأيقظ العمارة كلها ، بل والحى كله على الفور وطارده العسس واهل الحبيبة قبل ان يتاح للمراتين المسكينتين ان ترفعا الامراس .

وغير عمر بن ابى ربيعة وجميل بن معمر وعبد الله ابن قيس الرقيات والفرزدق هناك الشاب الجميل وضاح اليمن ، وهو من أبناء ملوك اليمن ، والعرجى ، وهو من ارستقراطية قريش ، وعدد لا يحصى من شعراء العصر الذهبى يثبتون بشعرهم ان نساء العرب فى العصر الذهبى لم يكن يختلفن كثيرا عن نساء اليوم على الاقل فى الفضيلة او فى نقص الفضيلة .

مجاهد بن الشماخ : سيدى الرئيس ، هذا تخريب لتراثنا .

أبو الفتوح الصياح : كل هذه حالا فردية لا يقاس عليها والشعراء يتبعهم الغاوون .

على الزيبق الجوكى الشهير بالزنبرك : ولكنكم تدرسون هؤلاء الشعراء فى المدارس والجامعات ، هل تقترح سن قانون بالغاء تدريس الادب العربى من المدارس والجامعات ؟

مجاهد بن الشماخ : مستحيل ، نحن أفنينا حياتنا فى

تحقيق هذا التراث ونشره . نحن نطالب وزارة الثقافة بأن تخصص كل ميزانيتها لنشر التراث العربى .

الايديولوجى الفهلوى : وما اعتراضك اذن ؟ هل تطالب بنشره بشرط الا يقرأه الناس ؟

ابو الفتوح الصباح : هؤلاء الشعراء لا يعطون صورة صادقة عن حياة العرب فى العصر الذهبى . النساء الفاجرات يعشن فى كل عصر من العصور .

المعلم العاشر : لا تغضب . ان شعراء العصر الذهبى لم يكونوا يترددون على النساء الفاسدات او على البغايا بل كانوا يترددون على سيدات الاسر وبنات العائلات . والا فما معنى كل هذا الاختلاس والتسلق والدخول من الشبابيك تحت جنح الظلام ؟ وقد عرف عمر بن ابى ربيعة وحده منهن عددا وفيرا وعينهن بالاسم ، مثل عائشة بنت طلحة ونعم والرباب وهند وعفراء والثريا والنوار واسماء وليلى ولبابة ورملة وكلثم وفاطمة بنت محمد الاشعث الكندية وغيرهن ، وعناوينهن كلها مذكورة ومحققة بالكامل فى « الاغانى » ج ١ طبعة دار الكتب وفى ديوان عمر بن ابى ربيعة تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، ومنها يتبين أنهن جميعا من اسر محترمة مع الاحترام التام لهذه الاسر ، فالمثل يقول « يخلق من ظهر العالم فاسد » . كذلك كان رجال العصر الذهبى يدلعون ، اقصد يدللون ، نساء العصر الذهبى كما نفعل نحن اليوم بنسائنا فنقول سوسو وشوشو . كانوا

يقولون « سكن » لسكينة و « بثن » لبثينة و « عـز » لعزة : مثلا : « وحبك يا سكن الذى يحسم الصبرا » فى عمـــر بن أبى ربيعة و « كما شغف المجذون يا بثن بالخمر » فى جميل ابن معمر « ومن ذآ الذى ياعز لا يتغير » فى كثير عزه ، وكانوا يضربون المواعيـد كما نضربها اليوم فى الاورمان او فى جنينة الحيوانات أو فى كازينو الشجرة أو فى استيريو الهرم • مثلا رسول عمر بن ابى ربيعة :

فأتاها فقـال : ميعادك السر

ح اذا الليـل اسدل الاســـتارا

ونساؤنا الآن يستعملن الشـانيل والكارنن ماجـريف والاربيج والاوبيجان والشيفاليبه دورسيه بمنتهى الحرص والاقتصاد ويكتفين بنقطة او نقطتين فى الشعر أو تحت الاذن واحيانا فى الملابس الداخلية • ولكن قارىء معلقة امـرىء القيس يعرف ان نساء الزمان الغابر كن يدلقن العطور دلقـا على الفراش •

ويضـحى فتيت المسـك فوق فراشها

نؤوم الضحى لم تنتطق عن تفضل

وعلى الثيـاب :

اذا قامتـا تضوع المسك منهما

نسيم الصـبا جـاءت بريا القرنفل

وكانت تحدث بينهم المطاردات الغرامية • انظروا الى هـذه المطاردة التى قام بهـا عمر بن ابى ربيعة وصاحبه بكر على ظهـور الابل وتذكروا مـا يفعله شباب هـذه الايـــام

على الاقدام بين أمريكين عماد الدين وامريكين سليمان باشا او فى سيارات نصر وهى تطارد سيارات تاونوس عند برج القاهرة أو فى سكة الهرم :

شكوت الى بكر وقد حال دونها
منيف متى ينصب له الطرف يحسر
فقلت : اشر • قال : ائتمر ، أنت مؤيس
ولم يكبروا فوقا ، فما شئت فأمر
فقلت : انطلق نتبعهم ، ان نظرة
اليهم شفاء للفؤاد المضمر
فلما اضاء الفجر عنا بدا لنا
ذرا النخل والقصر الذى دون عزور
فقلت اقترب من سربهم نلق غفلة
من الركب والبس لبسه المتنكر
فقالت لاتراب لها : ابرزن اننى
اظن ابا الخطاب منا بمحضر
له أختلجت عينى اظن عشية
واقبل ظبى سانح كالمبشر
فقلن لها : لا بل تمنيت منية
خلوت بها عند الهوى والتذكر
فقالت لهن : امشين ، أما نلاقه
كما قلت او نشف النفوس فنعذر
وجئت انسياب الايم فى الغيل اتقى الـ
عيون واخفى الوطء للمتغفر

فلمـا التقينـا رحبت وتبسـمت

تبسـم مسرور ، ومن يرض يسرر

فيـا طيب لهـو ما هناك لهوتـه

بمستمع منهـا ويـا حسن منظر

فمن كان بطيئا فى فهم الشعر فمعنى هـذا الكـلام باختصار ان عمـر بن ابى ربيعة وصاحبه بكرا : ابصرا ركب المحبوبة وصاحباتها فتبعاه حتى ادركاه ، ورغب ان ينفرد بهـا ورغبت ان تنفرد به ، فانسلخت من الركب وتحقـق الرنـديفو •

وفى الرائية المشهورة : « أمن آل نعم انت غاد فمبكر» « وهو يشبه قولنا » : « أتذهب مبكرا الى بيت البنت نعمت اونعمات أو نعيمة » يروى لنـا عمر بن ابى ربيعة كيف انه فعـل ما فعله دون جوان فى جناح الحريم بسراى السلطان فى استنبول • اى تنكر فى زى فتـاة لكى يندس بينهن ، كـما ورد فى ملحمة اللورد بيرون ، ودخـل فى مازق ثم خرج منه • ولا اعتقد ان شاعرا فى ايـة لغة بلغ هـذه الـدقة فى وصف حـديث العشاق المعاميد الـذى اختلطت فيـه الدماثة بالشبق وهما عـادة من صفات نساء الارستقراطية :

فحييت اذ فاجأتهـا فتولهـت

وكـادت بمخفوض التحية تجهـر

وقالت وعضـت بالبنـان : فضحتنى

وانت امرؤ ميسور امرك اعسر

اريتــك اذ هنــا عليــك الم تخف

وقيت وحــولى من عــدوك حضر ؟

فــو اللــه ما ادرى : اتعجيل حاجة

سرت بك ام قد نام من كنت تحذر ؟

فقلت لها : بل قادنى الشوق والهوى

اليك وما نفس من الناس تشــعر

فقالت وقــد لانت وافرخ روعهــا

كــلاك بحفــظ ربــك المتكبـــر

فانت ابـــا الخطــاب غير مــدافع

عــلى اميــر مــا مكثت مـــؤمر

فنت قرير العــين اعطيت حــاجتى

اقبــل فاها فى الخــلاء فاكثـــر

فيالــك من ليــل تقــاصر طــوله

وما كان ليــلى قبل ذلــك يقصر

وهكذا قضى عمر بن ابى ربيعة ليلة ناعمة ، ولكن مـــا ان اوشك الليل ان ينقضى حتى وقعت الواقعة فدبت الحركة فى الحى وتأهب القوم للرحيل : « فلا راعنى الا منــاد : ترحلوا وقــد لاح معروف من الصبح اشقر » ، ولم تصــب البنت بالــذعر بــل قالت لصاحبها : الان وقــد تنبه النـــاس ، « اشر كيف تأمر ؟ » لنخرج من هذه الورطة · فعرض عليها ان « يباديهم » أى ينقض عليهم بسيفه ، ولكنها رفضـــت قائلة : لا · هــذا يثبت ما يشاع عنــا ، فلنفكر فى حـــــل يسترنا لا فى حل يفضحنا ، وهكــذا كانت المراة كالعادة اذكى

من الرجل • ولكنى يبـدو ان الخطر اقترب منهـا فقـد شحب وجههـا ، ومضت الى اختيهـا ، او لعلهمـا مجرد صاحبتين تستنجـد بهما :

فقامت اليهـا حرتـــان عليهمـا
كساءان من خـز دمقس واخضر
فقالت لاختيها : اعينـا على فتى
اتى زائرا ، والامر للامر يقـدر
فأقبلتا ، فارتاعتـا ، ثم قالتـا :
اقلى عليك اللـوم فالخطب أيسر
فقالت لهـا الصـغرى ، سأعطيه مطرفى
ودرعى وهـذا البرد ان كان يحـذر
يقـوم فيمشى بيننـا متنكـــرا
فـلا سرنـا يفشو ولا هـو يظهـر
فكـان مجنى دون من كنـت اتقــى
ثلاث شخوص : كاعبان ومعصر

الا ترون معى ان التنكر فى زى النساء يـدل على ان عشاق العصر الذهبى كانوا اكثر جراءة واوسع حيلـة من عشاق اليوم • أكاد اقطع بأن اى عاشق من عشاق اليـــوم لـو ووجـه بهـذا الموقف لضربت معـه لخمة ولمـا عـرف كيف ينصرف •

الفارس المفروس : اسمحوا لى يـا سادة • كل هـذا طبيعى ، انتم تنسـون ان فن التصوير وفن النحت اندثرا بين العرب بانتهاء الجاهلية الوثنية • فطبيعى ان يقوم الشاعر

مقام الفنان التشكيلي فيرسم « بورتريهات » لسيدات العصر الذهبي بالقلم والكلمة بدلا من الرسم بالفرشة والالوان • وهذا يفسر انتشار شعر الغزل في العصر الذهبي وفي « الاغاني » ج ٦ ص ٢١٩ أن أم البنين بنت عبد العزيز ابن مروان وزوج الوليد بن عبد الملك ارسلت الى كثير عزة والى وضاح اليمن تقول : « انسبا بي » • والنسيب أو التشبيب نوع من الغزل • فلنقل انه وصف محاسن المرأة ، وان ام البنين لم تكن تطلب من الشعراء ان يتغزلوا فيها حقا ، وانما أرادت منهم ان يصفوا محاسنها ، اى ان يرسموا لها بورتريه أو ينحتوا لها تمثالا بالكلام على غرار ما يفعل الفنانون • وقد خاف كثير من صولة ابيها فلم يصفها بل وصف جاريتها ، أما وضاح اليمن فقد شبب بها فنال عقابه • تربص به رجال الوليد وقتلوه بدفنه حيا •

المعلم العاشر : ربما كان هذا صحيحا ، ولكنه لا يفسر المواعيد الغرامية في السرح والغيل ولا المطاردات ولا التنكرات والتسلق بالحبال لولوج المخادع ولا المشاورت الطريفة بين البنات والبنات وبين الرجال والرجال في افضل الطرق لدخول دنيا الحب والخروج منها • ان دراستنا للادب العربي تقف دائما عند زخرف الالفاظ ولا تتوغل في المعاني الا نادرا ولا تحاول ان تربط بينه وبين الحياة التى انتجته وهذا هو سبب كراهية تلاميذنا لدراسة الادب العربي شعرا ونثرا رغم الجهود الجبارة التى نبذلها لنشره على ابنائنا

فى المدارس . أنا مثلا أعتقد أن الادب العربى متخلف جداعن الادب اليونانى ، ولكنى اعتقد انه لا يقل شموخا عن الادب اللاتينى بما فى ذلك فرجيل وهوراس وأوفيد . ولكننا حنطناه لاعتقادنا ان التراث لا يكون تراثا اذا عاش معنا وعايشناه ... ان التلميذ المصرى مثلا لا يعرف ان ابناء المائة الاولى كانوا مثلنا اناسا يحبون ويعشقون ويتألمون ويفرحون ويقتلون ويزنون ويدسون ويتآمرون ويغدرون ويخلصون وانهم كانوا مثلنا يحبون الجسد ويتجهمون ويحبون الحظ ويفرفشون ، وانه لمع بينهم اقطاب المغنين مثل ابن سريج والغريض ومعبد ، وكلهم من فنانى الحجاز تالقوا فى المدينة المنورة تألق محمد عبد الوهاب وعبد الحليم حافظ وفريد الاطرش فى القاهرة الان . قالوا وكان رابع هؤلاء العباقرة حنين الحيرى فى العراق ، فكتب ثلاثتهم اليه خطابا يدعونه فيه لزيارة المدينة . قالوا : نحن ثلاثة بالحجاز وانت وحدك بالعراق ، فانت اولى بزيارتنا . والمهم فى هذا ما جاء فى « الاغانى » من وصف الهستيريا التى استولت على اهل المدينة عندما علموا باقتراب موكب الموسيقار حنين هذا ، وهى تشبه الهستيريا التى تستولى على اهل لندن او باريس او نيويورك فيتجمعون بالآلاف فى المطارات حاملين الكورونات وكارنيهات الاتوجراف والكاميرات كلما نزل الخنافس أو جونى ماليداى او الفيس بريسلى ، فيتشنج الرجال ويغمى على النساء . قالوا : فشخص اليهم ، فلما كان على مرحلة من المدينة بلغهم خبره

فخرجوا يتلقونه ، فلم يــر يوم أكثر حشرا ولا جمعــا من يومئــذ • هــذه صورة من صور الحياة اليوميـــة فى العصر الذهبى تــدل على أن رجــاله ونساءه كانت لهم قلوب مثــل قلوبنا • فلم كل هــذه الجهامة التى ترتسم على وجــه ابــو الفتوح الصباح وصاحبه مجاهــد بن الشماخ • ليس صحيحا ما قاله أبو الفتوح الصباح من أن نساء العصر الذهبى كــن مثال الفضيلة وان نساء عصرنا مثال الرذيلة • هــل اقتنعت يــا سيدى ؟

مجاهــد بن الشماخ : كلا • كلامك غير مقنع ، بـــل هــو اشبه بسمادير المخمورين • وانــا لا افهم كيف يــؤذن لــدعى جاهل مغموز ملموز شرلتان مثلك ان يتكلم فى تاريــخ العرب وادبهم وانت الــذى دربك المبشرون والمستشرقــون عملاء الاستعمار الصليبى لافساد حضارة العرب وعقيـــدة العرب •

صانع الاقنعة : محال ان اسمح بهــذا السباب • انــه خروج على الميثــاق ، ان كانت لديك وجهــة نظر فاشرحهــا ولكن حــذار من التطاول والا اخرجتك من الجلسة • ارى من حالتك النفسية انك اذا بــدات الكلام فــلن تتوقف ، والوقت ازف • فالى اللقــاء فى الجلسة القادمة •

رفعت الجلسة •••

× المحاورة الثالثة ×

فى المـــرآة

قال صانع الاقنعة : انت يا مجاهد بن الشماخ طلبت الكلمة وستكون اول المتكلمين فى جلسة اليوم • ولكن تذكر ما وعدتك به فى الجلسة السابقة اذا لجأت الى السباب•

مجاهد بن الشماخ : انا لم الجأ الى السباب وانما كنت أمارس حقى فى الهجاء والهجاء فن معترف به من فنون الشعر العربى ، وله تقاليد راسخة فى بلاغة العرب ، بل اكاد اقول انه يمثل ربع تراثنا من الشعر العربى • فاذا كان ربعه للنسيب وربعه للفخر وربعه للمدح فربعه الرابع للهجاء ، اما شعر الرثاء فمجرد متفرقات هنا وهناك لا يعتد بها ، واما وصف الطبيعة والحكم والتأملات وغيرها فقد جرت تقاليد العرب أن تكون « من الباطن » اى يحشى بها بطن القصيد حشو الفريك داخل الحمام وهى لا تطلب لذاتها ، فهى ليست فنونا ادبية معتمدة عند العرب • ولم يشذ عن هذه القاعدة الا العتاهى والمعرى

وشعراء الصوفية • فالعرب اذن قد جعلت من السباب فنا جميلا وسمته الهجاء ••• كما جعلت من الملق فنا جميلا سمته المدح • فاذا كنت قد قلت للمعلم العاشر انه دعى وجاهل وشرلتان وان كلامه صديد فى صديد أو من سمادير المخمورين أو انه صبى المبشرين وعميل المستعمرين ، فهذه كلها صور فنية غاية فى الذكاء ، ومعان مبتكرة لم يسبقنى اليها احد من القدماء، وانتم تعرفون ان ابن قدامة وابن سلام والجرجانى وابن قتيبة والآمدى وابا هلال العسكرى وابن طباطبا كانوا لايغتفرون لشاعر أو ناثر انه كرر معانى غيره أو الفاظه ويسمون هذا سرقة ادبية • وقد حافظنا نحن سدنة التراث العربى على تقاليد الهجاء حتى لا ينقرض هذا الفن الجميل • فمصطفى صادق الرافعى مثلا كان يسمى عباس العقاد « العقاد اللص » و « الشاعر المراحيضى » وكان يضعه على السفود وهو خازوق او سيخ لشى الكباب وناظر مدرسة ابن العميد الجالس هناك كان يقول ان خولة المايسطرية تمسك بقلم الشيخ الغليظ ويقصد بالغليظ القلم لا الشيخ ، وهو زوجها ، وقد نشر هذا على نفقة الدولة فى مجلات وزارة الثقافة ، لانه ظريف وجميل ولانه يحافظ على تراث البلاغة العربية وفى وزارة الثقافة ادارة لاحياء التراث العربى ، فهو يطبع على ميزانية احياء التراث وقد أوشك هذا الفن ان ينقرض منذ ان ظهر المعلم التاسع قاتله الله أو على الاصح منذ ان عاد هو ومدرسته من أوروبة ، فأخذ يهجو خصومه فى الرأى بعبارات

مثـل قوله : « فليسمح لى سيدى ان اختلف معـه فى بعض مـا ذهب اليـه ، وانا زعيم بأن اختلاف الراى لا يفسـد للود قضية » او مثل قوله : « ومهما يكن من شىء فانى اوشك ان اختلف مع سيدى فى بعض مـا ذهب اليـه » وغير ذلـك من التراكيب الاعجمية المستوردة من الخارج ، وهى تراكيب دسهـا علينا المبشرون الصليبيون والمستشرقون للقضـاء على البلاغـة العربية وابادة الهجاء العربى ••• وهـل هناك اجمـل من قـول الخطيئة :

فغض الطرف انـك من نميـر

فـلا كعبـا بلغت ولا كـلابا

انظر الى التورية فى كلمتى « كعب » و « كلاب » فهما اخس ما فى الانسان واخس ما فى الحيوان وهما فى الوقـت نفسه اسما قبيلتين من قبائل العرب ، وهل هنـاك اقـوى من قـول المتنبى فى سلطان من سلاطين مصر ••

لا تشتر العبد الا والعصـا معـه

ان العبيـد لأنجـاس مناكيـد

انه قول صالح لكل زمان ومكان ، ولو ان لومومبا قاله لتشومبى لمـا آل الى هـذه الكارثة الحزينة • اقـول لـولا مجلات وزارة الثقافة لانـدثر هـذا الفن الجميل ، والحمـد للـه الـذى كشف الغمة وبعث مجـد الآبـاء والاجـداد ، وجـدد العصر الذهبى للهجـاء ، فانا الان استطيع كلمـا خـوى وفاضى ان اقتحـم على اى كبير من كبـار القـوم مكتبـه قائلا :

فجد لى يا ابن ناقصة بمال
فانى قد عزمت على المسير

فيخاف باسى ويوقع لى على ما شئت من صكوك ، هذه التى تسمونها شيكات : أو اذونات صرف ، فان ابى ان يوقع اردفت هذا بقولى :

قوم اذا استنبح الاضياف كلبهم
قالوا لأمهم بولى على النار

فيكون لقولى وقع السحر فى نفسه لانه يدرك انى قد بدات الهجاء بالام والاب ... نعم ان فن الهجاء فن أرفع من فن المدح لان المال او المجد ان جاء عن طريق الملق كان استجداء، اما ان جاء عن طريق الارهاب فهو بأس وسؤدد . وانا لا اطالب الا بحقى فى ان اجرب بلاغة العرب فى هذا المعلم العاشر الصعلوك ، هو وقبيلته وتوءمه بعد أن اجرده من كافة الالقاب العلمية التى حصل عليها بوسائل مريبة من جامعات المبشرين.

صانع الاقنعة : انا نبهتك اكثر من مرة ان هذا مناف للميثاق ، ادخل فى الموضوع أو دع غيرك يتكلم .

مجاهد بن الشماخ : لا بأس . لقد صور هذا الرجل

صانع الاقنعة : اسمه المعلم العاشر .

مجاهد بن الشماخ : انا لا اعترف بهذا اللقب .

صانع الاقنعة : هل تعترض على لقبك ايضا ؟

مجاهـد بن الشماخ : كـلا ، فهو يناسبنى تماما • وهو ليس قناعا بـل حقيقة ، فجـدى الاعلى هـو الشماخ ابن ضرار قطب شعرآء الجاهلية ، وانـا مجاهـد بالفعل •

صانع الاقنعة : هـو الـذى صنع لك القناع فلمـاذا أنت غاضب عليـه ؟

مجاهـد بن الشماخ : هذه قصة أخرى سأرويها فيمـا بعـد • اما الان فانا اقول ان المعلم العاشر زعم كمآ زعم المعلم التاسع من قبله ان شعر الغرام القانى فشـا فى الحجاز فى اوائل حكم بنى امية • والحقيقة ان شعر الغرام القـانى والغرام الباهت وكل انواع الغرام فشـا فى كل عصر من عصور الدولة العربية لان العرب بسليقتهم عشاق معاميد ، وانـا لا أوافق ابا الفتوح الصباح فى تصوره أن العصر الذهبى كان خاليا من الغرام ، فأبو الفتوح الصباح أحول او اعـور يرى ادب الدين ولا يرى ادب الدنيا •

ابـو الفتوح الصباح : أتشتمنى ؟ انـا صديقك •

مجاهد بن الشماخ : انا لا اشتمك ولكنى اصحح آراءك عن العصر الذهبى ، الدولة العربية كلهـا عصر ذهبى ، وكل مـا فيها ذهب • حتىالجاهلية الاولى ذهبية وهـذا هـو الفرق بيننـا نحن المثقفين العرب وبينكم معشر الروحانيين العرب نحن نقول أن دولـة العـرب دين ودنيـا ، وأنتـم

تقولون انهـا دين فقط ، ولهـذا سنصل نحن الى الحـــكم أمـا أنتم فستمهدون لنا الطريق • انتم تكتوون بالنار ونحن نأكل الكستناء كما يقول الخواجات • وهـذا هو سبب فشل جـدك الاعلى حسن الصباح مقـدم الفداوية وشيخ طريقة الحشاشين رغم انـه برز فى الحروب الصليبية وهو أيضـا سبب فشل ابن عمك آيـة آللـه كاشانى فى ايران فى السنوات الاخيرة • لا تترك آلدعوة الباطنية ولكن ادخـل الاتحـــاد الاشتراكى ، وبهـذا تكون لك كوادر سرية وكوادر علنيـة فى حى الباطنيـة •

صانع الاقنعة : ما هـذا الكلام ! انتما تتآمران لقلـب نظـام الحـكم ؟

ابـو الفتوح الصباح : لا • ابـدا • انـا لا تربطنى بهـذا الرجل الا رابطة فكرية •

صانع الاقنعة : نحن كنـا نتكلم فى الادب والحياة ••• فمـا دخـل السياسة ؟

مجاهد ابن الشماخ : السياسة تـدخل فى كل شىء • فمثلا تعـددت الآراء فى اسباب تفشى شعر الغرآم فى الحجاز فى أوائل حكم بنى أمية ، فصاحب « حـديث الاربعـاء » يقول آن شعر عمر بن ابى ربيعة وفرقة الشعراء العشـــاق كان يمثل صورة حقيقية لمجتمع ارستقراطى مترف متـــأنق انتشرت فيه الصالونات الادبية • وهناك رأى بأن بنى امية

ارادوا ان يستأثروا بالحكم فى الشام فشجعوا هذا الترف فى الحجاز لعزله سياسيا وشغل شبابه عن الحياة العامة بسفاسف الفن والادب وبمتع الحياة ، وهذا ليس بمستبعد وعندنا أمثلة فى التاريخ ... فالصليبيون الامريكان علموا الا يروكوا والشيروكى والسيو والسجنولو واليوت وغيرهم من قبائل الهنود الحمر شرب الجن لينصرفوا عن القتال ويتركوهم يمرحون فى البلاد . وكذلك فعل الصليبيون الاوروبيون بزنوج افريقيا : فتحوا بلادهم بالخمر والخرز . ولكن الارجح فى نظرى هو ان شعر الغزل هذا لم يكن الا لونا من الوآن القذف السياسى قصد به الشعراء تلويث سمعة خصومهم بالتعريض بنسائهم المحصنات وتصويرهن فى صورة الزانيات الفاجرات ، الم اقل لكم ان القذف فن جميل وله تقاليد راسخة فى الادب العربى ؟

أبو الفتوح الصباح : انا اعتقد ان كل ماروى عمر ابن ابى ربيعة والعرجى وجميل بثنية والرقيات ووضاح اليمن والاحوص وآلاخطل وغيرهم فى شعرهم من مغامرات نسائية مع كرائم العقائل ليس الا اقاصيص من نسج الخيال والكذب فى سبيل الفن رخصة اعطيت للشعراء من أقدم العصور ، والى الآن فيما اعتقد . فشعر هذه الفترة لا يصلح أن يتخذ مرآة لذلك العصر . وصورة الشاعر يقتحم أو يتسلل الى مخادع البنات صورة شعرية قديمة ورثها

شعراء صــدر الاسلام عن شعراء الجاهلية • نجـدها مثـلا فى امرىء القيس ونجـدها فى المنخل اليشكرى :

ولقـد دخلت على الفتاة الخدر فى اليوم المطير

الكاعب الحسناء ترفل فى الدمقس وفى الحرير

المعلم العاشر : ربما • ربما • ولكن هـذا لا يفسر كيف ان دواوين عمـر بن أبى ربيعة وعـديد من معاصريه ليست الا سلاسل محكمة الحلقات من قصائد لا تخرج عن هـذا المعنى : معنى التواعـد واللقاء أو التسلل الى المخادع • والارجح ان شعراء العصر الذهبى كانوا يفشرون فى وصف هـذه الدون جوانيات أو على الاقـل يغالون بعض الشيء ، وهـذا ضعف انسانى تجـده فى كل العصور • ولكن مجرد تفشى هـذا الاتجاه الادبى اكثر مما الفـه الناس فى الجاهلية ومجـرد سـماح مجتمـع العصر الذهبى بتفشيه يدلان على نـوع من السماحة والقبـول لهـذه « الموضـة » الادبية • ثم اننـا لم نسمع ان احـدا اقام الحـد على عمر بن ابى ربيعـة رغم اعترافه بالزنـا اكثر من مائة مرة فى قصائده ، والاعتراف سيد الادلة ، بـل هـو يذكر اسماء وعناوين من زنى معهن من النساء دون حرج ، واكثرهن من سيدات المجتمع المعروفات ومع ذلك لا يتعرض له احـد • وواضح من سير شعراء العصر الذهبى ان ما لقيه وضاح اليمن أو الاحوص أو الرقيات أو الاخطل من العنت او التهديد لم يكن بسبب دخولهم مخادع

السيدات ، ولا بسبب اجترائهم على نساء وراءهن سيوف طويلة من نساء كبار رجال الدولة ، على طريقة : « اذا سرقت اسرق جمل واذا عشقت اعشق قمر » • فبعض من وصفهن هؤلاء الشعراء كن ملكات جمال مثل عائشة بنت طلحة تحدثت بجمالهن كتب العرب ، ولكى اقرب لكم الصورة تصوروا مثلا ان عبد الرحمن الخميسى أو عبد القادر القط أو صلاح عبد الصبور أو احمد حجازى كتب قصيدة في هذه الايام تباهى فيها بليلة حمراء قضاها مع زوبة المناويشى زوجة الدكتور محمود الدنديشى رئيس مجلس ادارة المؤسسة المصرية العامة للكرافتات والبابيونات والخرق الحريرية ، وفى فيللا الدكتور نفسه خلف اندريا شارع الهرم• فماذا يكون الحال ؟ طبعا قضيتان : قضية قذف للتشهير تطبق فيها المادة كذا من قانون العقوبات (والحبس فيها واجب) ، وقضية زنا مع محصنة ، اى امراة متزوجة (والحبس فيها واجب أيضا) ، وغالبا قضية ثالثة هى قضية طلاق بين محمود الدنديشى وزوبة المناويشى أو على الاقل علقة سخنة تبقى فى ذاكرة زوبة المناويشى لفترة طويلة • فسيف القانون اليوم أحد من « سيوف ابيك » التى ذكرها الشاعر فى قوله : « فتكات لحظك أم سيوف ابيك » • وواضح اننا اليوم نقيم الحد بطريقتنا الخاصة على الزناة والقاذفين أكثر مما كانوا يفعلون فى العصر الذهبى وأننا لا نعلق

العقوبة على الاعتراف او التلبس كما كانوا يفعلون بل نكتفى بما تجمعه النيابة من أدلة .. وحتى لو افترضنا ان الخميسى أو القط او عبد الصبور أو حجازى مجرد فشار لا يفعل شيئا ولكنه يشنع ببنات الناس ، وان الفشر ، فشر الشعراء ، شئ معروف للخاص والعام ، فهذا قد يعفى من تهمة الزنا ولكنه لن يعفى من تهمة القذف . فاذا تصورتم ان اقتحام مخادع السيدات فى حراسة الخادمة والطباخ والشوفير وصبى المكوجى لم يعد موضوع قصيدة واحدة ينظمها الخميسى أو القط او عبد الصبور او حجازى بل اصبح الموضوع المفضل عند شعرائنا واشترك فيه عزيز اباظة وعلى الجندى وعبده بدوى وعامر بحيرى ومحمود عماد وبقية اعضاء لجنة المدرسة العمودية حتى أصبح سمة الادب العربى فى مصر عام ١٩٦٥ ، واذا تصورتم ان الامر تجاوز زوبة المناويشى الى كوكا وسونة ونوسة وريرى وزيزى وميمى وفيفى الدراويشى والملاميشى والفرافيشى والقراقيشى والحلمنتيشى ، وكلهن زوجات رجال من طبقة مديرى العموم من ذوى السيوف الطويلة ، ومع ذلك لا تخرج هذه السيوف من غمدها الا فى القليل النادر ، فماذا انتم قائلون ؟ وماذا سيقول المؤرخ الذى سيؤرخ لعصرنا عام ٢٥٠٠ ميلادية عن طبيعة الحياة فى هذا العصر ؟

نحن نعرف ان الكوكايين كان منتشرا فى مصر فى أوائل

العشرينات من نشيد حسن فائق ، المنسوب الى عبد الله شداد ، « شم الكوكايين خلانى مسكين » ، ومثله الحشيش من نشيد سيد درويش عن « التحفجية .. فشر يا دؤدؤ » كذلك نعرف ان الزواج من اجنبيات كان يمثل خطرا قوميا فى العشرينات من روايات يوسف وهبى وفى الثلاثينات من قرار لجنة البعثات بحظر الزواج من أجنبيات على طالبتنا فى الخارج . ومؤرخ الادب سنة ٢٥٠٠ سيقلب أدب عصرنا فيجد فيه أوصافا غريبة وتحليلات عجيبة لا نظير لها فى الادب العربى فى اى عصر من العصور لشخصيات مصرية تظهر لاول مرة على خشبة المسرح ، مثل طواف نعمان عاشور وفرفور بيوسف ادريس وخضرة سعد الدين وهبه وعبده افندى للطفى الخولى ، ويستنتج منها أنه كانت فى مصر ثورة فقراء ومحاولة ضخمة لاعادة تنظيم العلاقات الاجتماعية والاقتصادية منذ ١٩٥٢ ، سيصل مؤرخ الادب الى هذه النتيجة حتى ولو لم يقع فى يده اى كتاب من كتب التاريخ لان ادبنا مرآة لعصرنا . وقد يكون مرآة منبعجة أو مقعرة كمرايا اللونابارك بسبب عقلية ادبائنا وتكوينهم النفسى ، ولكنه مرآة من نوع ما على كل حال . وسيجد مؤرخ الادب بعض التفكهة حين ينظر فيما سيبقى من ادبنا فيجده خاليا من وصف النساء خاليا من وصف الحب ، أو يكاد يكون خاليا . انا طبعا افترض ان « انت عمرى » لن تعيش الى

سنة ٢٥٠٠ وان نساء رشاد رشدى سيعشن فقط حتى يحال الى المعـاش ، فرشاد رشدى هو الوحيد الباقى بين كتـاب مسرحنا الـذى لا يزال يكتب عن النساء واحوالها وعن الحب وأوضاعه • سيبتسم مؤرخ الادب ويسائل نفسه : ترى ماذا جرى لهؤلاء القـوم منـذ ١٩٥٢ أو على الاصح منـــذ انـدثار مدرسة ابولو فى الحرب العالمية الثانية ؟ نعم • لن يجـد مؤرخ الادب عـام ٢٥٠٠ فى شعرنا ومسرحنا اى دليل على ان مصر كانت فيهـا نساء فى عهـد الثورة الا روايات احسان عبد القدوس ، ومن هنـا اعمية احسان عبد القـدوس التاريخية وضرورة المحافظة عليه لانه آيتنا الوحيدة امـام الاجيال القادمة على وجود الجنس الآخر فى عهـد الثورة • أمـا نجيب محفوظ فستكون رواياته مفاتيح لاشياء أخـرى اشـد خطرا وعمقـا : ستكون مفاتيح لتشنجات اجتماعيـة وانسانية رهيبة على مستوى الجماعة كلهـا تفصح عن نفسها من خلال تشنجات رهيبة تجتاح قلوب رجـال ممرورين قلقين ونساء ممرورات قلقات •

كل هـذا يؤكـد أن شعر عمر ابن أبى ربيعة وجميل والرقيات ووضاح اليمن والعرجى والاخطل والفرزدق •• الخ يجب ان يكون مرآة للحيـاة العربية فى المـائة الاولى أو مـا نسميه العصر الذهبى • وقـد تواتر فى شعر كل هؤلاء الشعراء ١ ـ ان نساء العصر الذهبى كن يتتبعن موضات الشـــعر

السائدة فى ذلك العصر ٠ ٢ ـ انهن كن يتتبعن احـدث الازياء ويعرفن افخر أنواع الخز والحرير من الداماسيـة (الدمقس) والشانتونـج واللاميه والناما والموار والفـــاى الى الجيبير والدانتللا ٠ ٣ ـ انهن كن يعرفن المـانيكير والبديكيـــــر والمساحيق من احمرى واخضرى وأزرقى وكريم وبودرة وريميل وكحل لتزجيج الحواجب حتى تصبح العيون كعيون المهـا ، نعرف هـذا من قول ابن الرومى فى وصف الطبيعة فى رونق الربيع : « تبرحت بعد حيـاء وخفـر تبرج الانثى تصـدت للذكر » ٠ ٤ ـ انهن كن يترددن على البلاجات غالبا بــــلا مايوهات سواء من قطعة أو قطعتين ٠ ٥ ـ انهن كن يتواصلن مع العشاق على الاقل العشاق الشعراء ، ويتواعـدن معهـم فى الخمائل والادغال وعنـد عيون المـــاء ، ويستقبلنهم فى الفراش بين المغرب والفجـر سواء فى مضارب الخيام أو فى الطوابق العليا كما حدث للفـرزدق ٠ وكل هـذه الرذائل ، ان كانت رذائل ، لازمت بنات حواء من العصر الذهبى الى العصر الـذرى ، والارجح انهـا لازمتهن ايضا منـذ عصر الكهف ٠ الى العصر الذهبى ٠ هل قضيت على خرافة العصر الذهبى ٠٠ على الاقـل بالنسبة للنساء ؟

مجاهـد بن الشماخ : اذا كان هـذا حقا فهـو حـــق يراد به باطـل ٠

صانع الاقنعة : ماذا تعنى ؟

مجاهـد الشماخ : اعنى ان المعلم العاشر يشن حملـة شعواء على حضارة العرب لانـه سيىء النية • وهو يقصـد ان يزرى بهـا لحساب الاوروبيين المـلاعين الـذين دربـوه لهـذا العمل حتى نفقـد الثقة فى انفسنا ونوطىء لهـم فى بـلادنا •

المعلم العاشر : مـا هـذا ؟ هل نحن فى محكمة تفتيش ؟ هـذا الرجل يحاكم الناس بالنوايا • لم يبق الا ان يـأتى بخنجر ويشق بـه قلبى بحجة انـه يريد ان يفتش فيه • ومع ذلك فكلامى يـدل على عكس مـا يقول • كلامى يثبت ان العرب علموا أوربا مـودة البوستيش والشنيون ومارى انطوانيت وعلموها استعمال ادوات الزينة وعلموها الاستحمام فى البلاجات ••• باختصار ، علموها كل مـا تصدره الينـا الآن من اسباب الحضـارة فهـذه بضاعتنا ردت الينا ، وهـو نفس ما ينادى بـه مجاهـد بن الشماخ وأبو الفتوح الصباح وبقال العروبة • علموها عن طريق بيزنطة والانـدلس ومـا بينهما • علموها وتعلموا منها •

مجاهـد بن الشماخ : انظروا ! الم اقـل لكـم ان المعلم العاشر دسيسـة ؟

كيف يقول ان العرب تعلموا من غيرهم ؟ العرب يعلمون ولا يتعلمون ، لانهم ولـدوا علماء • هـــذه آراء المبشرين والمستشرقين والمستعمرين • وقـد سبق ان صبى المبشرين

ادعى ان المعرى قرأ اليونان وهو افك عظيم ، فاليونان هم الذين قرأوا المعرى رغم انهم اقدم منه • لقد أثبت بما فيه الكفاية فى الجزء الاول من كتابى « أوهام وأراجيف » ان المعرى لم يعرف هوميروس أو ارسطوفانيس او لوسيان • وسأثبت فى الجزء الثانى منه أن هوميروس وأرسطوفانيس ولوسيان هم الذين عرفوا المعرى •

المعلم العاشر : انت مضحك يا شماخ ، انت وأمثالك ، ان قلنا انالمعرى كان مثقفا يعرف اليونانيات غضبتم ، كاننا ننسب اليه عارا وشنارا • ومع ذلك فانتم لا تفتاون تذكرون ان العربية هى التى اعطت اليونان لاوروبا فى عصر النهضة • فهل كان العرب مجرد وراقين مثل مكتبه الانجلو ومكتبة النهضة وعيسى البابى الحلبى يبيعون المخطوطات اليونانية للاوروبيين دون ان يعرفوا ما بداخلها؟ طبعا لا ••• فقد كانوا اولا وقبل كل شيء مثقفين فى اليونانيات عارفين باليونانية • ومادمنا نتحدث عن أمور الحب فى العصر الذهبى ، فأنا اقرر هنا أمام جميع الحاضرين ان امرأ القيس كان يعرف اليونانية ••• فنحن نقرأ فى « الاغانى » ان امرأ القيس طلب الى السموأل ان يكتب الى الحارث الغسانى أن يقدمه الى قيصر ، فلما انتهى امرؤ القيس الى قيصر اقام فى بلاطه مكرما وعينه قائدا

على جيش من جيوشه وكانت له عنده منزلة حتى افسد ما بينهما عدو له يدعى الطماح • قال الطماح لقيصر : « ان امرأ القيس ذكر انه كان يراسل ابنتك ويواصلها ، وهو قائل فى ذلك اشعارا يشهرها بها فى العرب « فيفضحها ويفضحك » وحتى لو افترضنا ان امرأ القيس كان يباهى بذلك من باب الفشر ، فهل يعقل ان يقيم عاما كاملا فى بلاط امبراطور بيزنطة دون ان يتعلم اليونانية ؟ لو كان الامر كذلك لكان حمارا كبيرا • وحتى لو افترضنا انه كان يستخدم ترجمانا اثناء اقامته فى بلاط ملك الروم يترجم بينه وبين قيصر ، فهل يعقل أن قيصر كان يأتمنه على قيادة جيش من جيوشه اذا كان لا يتقن اليونانية ؟ لو كان الامر كذلك لكان قيصر حمارا اكبر لانه عين فى جيشه جنرالا لا يستطيع قراءة أوامره وفرماناته ومراسيمه ، بل ولا يستطيع أن يتفاهم مع الصف الثانى والثالث من العمداء والعقداء والنقباء أو يجلس معهم فى مجلس حرب دون مترجمين • وحتى لو افترضنا ان قيصر كان حمارا كبيرا وان امرأ القيس كان حمارا صغيرا فكيف كان امرؤ القيس يطارح ابنة قيصر الغرام وهما معا فى بيزنطة ؟ فى الفراش طبعا لغة الاشارة تكفى ، ولكن هل يعقل انهما لم يخرجا قط من الفراش أو انهما لم يلتقيا ابدا الا فى الفراش ؟ وبأية لغة كان يراسلها وتراسله ؟ بالعربية التى لا تعرفها او باليونانية

التى لا يعرفها ؟ بئس هـذا الغرام الـذى يحتـاج دائما الى وسـيط • ثم اننـا نعرف انـه مـات ودفن فى قلب بـلاد الروم • وهـذا يـدل على انـه تردد على بيزنطـة اكثر من مرة ، مات بالحلـة المسمومة التى خلعها عليه قيصر حـين غضب عليه ••• مات ميتة اسطورية تشبه ميتة كريـوزا حين خلعت عليها ضرتهـا ميديا الثوب المسموم فى حكـاية ياسون المشهورة • ان اى حمار فى ظروف امرىء القيس كان لابـد ان يتعلم اليونانية قراءة وكتابة • بـل الارجح انـه تعلمها اصـلا وهو صغير لانـه من ابناء الملوك وتربيـة الامراء لم تخـل من تعلم اللغـات الاجنبية ومن استعمـال السـلاح الا فى انـدر الاحوال • انا اقول لكم انكم تقتلـون تاريخ العرب وأدب العرب لانكم لا تفهمون مـا تقرأون بـل ترددون كل ما جـاء فى الورق الاصفر كالببغاوات ، وكانـه تعاويـذ مختومة لا يجوز لاحـد فض اختامها خشـية ان يضيع سحرها • ان اشـد الناس خطرا على تراث القـدماء هم سـدنة تراث القدماء ، لانهم الهـوا السلف فحنطـوا حضارة السلف وفضلوا المـاضى على الحاضر وقطعوا جذورنا وجعلونا كأطفال يتـامى يبكون حول تابوت بـديع وهـم لا يعلمون ان ابـاهم لا يرقـد فيـه رقـدة الموت، ولكن ينـام فى غفـوة من سبات عميق •

صـانع الاقنعـة : انهض ، انهض يا أوزيريس انـا

ولـدك حوريس • جئت اعيـد اليـك الحياة • لم يـزل لـك قلبك الحقيقى • قلبك الباقى • كفى • كفى • لقد اثرت فينا الاشجان وانسيتنا الابتسام • ارجو يـا سادة ان تتذكروا فى المـرة القادمة أن من يضحك كثيرا يحتفظ بشبابه طويلا • فاضحكوا واضحكوا وان لم تجـدوا مـا تضحكون منـه فاضحكوا من انفسكم ! والى ان نلتقى مرة اخـرى • رفعت الجلسـة •

× المحاورة الرابعة ×

فردوس القطط والكلاب

بعد أن افتتح الرئيس ، صانع الاقنعة ، الجلسة لادارة المحاورة الرابعة ، تنحنح قليلا وقال انه قد جاءه طلب باقفال المناقشة فى هذا الموضوع التافه المستهلك ، موضوع المرأة ، واقتراح باجراء التصويت فورا من بازرعة بن شخبوط وهو من اقصى اليمين ، والملوك الشارد وهو من اقصى اليسار (واليمينواليسار هنا اوصاف جغرافية لا سياسية) . وهنا حدث مرج شديد لان خولة المايسطرية والماركسية المسخسخة ساءهما ان يقال ان موضوع المرأة موضوع تافه . وصاح الشاب الظريف ابو سنة دعب لولى يطالب بفتح باب المرأة الى الابد وايده فى ذلك خليع القبيلة بجلبة شديدة لفتت نظر الحاضرين ، وكانت حجتهما فى ذلك انهما اختصاصيان فى المرأة عمليا وانهما يحبان ان يستكملا معارفهما النظرية عنها . وكان تاجر البهارات يراقب كل هذا

ويبتسم في خبث واعطى الشاب الظريف شيئا من لبسان الدكر واعطى خليع القبيلة جوزة من جوز الطيب غزاد تهيجهما وأخذا يهتفان « تحيا المرأة الذهبية ! » « الينا بالمرأة الذهبية ! » وهنا تدخل السندباد الجديد ملطفا هذا الهرج بقوله :

ـ المعلم العاشر والمجاهد والشماخ وأبو الفتوح الصباح اكتفيا بدراسة احوال المرأة من خلال صورتها فى الادب والحقيقة إن الادب لا يعطينا الا بروفيل المرأة • وأنا اقترح ان يرسم لنا أحد صورتها فى علم الاجتماع • انا لا اقول ان العلم فضلوه عن الادب ، ولكن المنهج العلمى ادعى لدقة المعرفة ووضوح التفكير •

الايبدلوجى الفهلوى : انا مستعد لرسم صورة المرأة فى علم الاجتماع • انا درست •••

المعلم العاشر : انا اعترض • ليس بيننا واحد مؤهل فى هذا العلم •

صانع الاقنعة : هل ندعو استاذا من الجامعة ؟

المعلم العاشر : لا • انا اعرف كل اساتذة الاجتماع الدكتور ازوز لا يعرف شيئا خارج دوركهايم ، والديك الجبار لا يعرف شيئا خارج ابن خلدون والدرفيل الوديع سيثرثر ثرثرة لطيفة عن استاذه ايفانز بريتشارد • اقترح ان ندعو بعض الخبراء الاجانب : جيمس فريزر ومالينو

فسكى وايفانز بريتشارد وراد كليف براون وهــانز ليخت أيضــا اذا امكن ولوينسون •

صانع الاقنعــة : ما كل هــذا • واحــد يكفى •

المعلم العاشر : مالينوفسكى اذن • هــاهو ذا بالبــاب أو على الاصح شبحه مــا أن فكرنا فيه حتى حضر بسرعــة ضــوء الفكر •

صانع الاقنعــة : ادخــل يا مالينوفسكى •

مجاهــد بن الشماخ : أنــا اعترض على دعوة هـــذا الافاق الدولى عــدو العرب • انــه أوروبى نجس •

صانع الاقنعة : اسكت يا شماخ • مهنتك •

مالينوفسكى : عــالم اثنولوجيا •

ابو الفتوح الصباح : وما هــذه الاثنولوجيا من فضلك؟

مالينوفسكى : علم دراسة خصائص الشعوب •

ابو الفتوح الصباح : سبحان اللــه • أنــا لم اسمع أبــدا بهــذا العلم •

مالينوفسكى : كانوا فى القرن التاسع عشر منـــذ داروين يــدرسون شيئا اسمه الانثروبولوجيا أى علم الانسان أو الجغرافيا الجنسية كما تسمونها فى بلادكم ، وكانـــوا يــدرسون الاجناس البشرية دراسة غريبة بقيــاس جماجم الناس وانوفهم واطوال عظامهم وانواع شعرهم وتصــنيف فصائل دمهم ، كل ذلك لتحــديد الفوارق والجوامع بـــين

الاجناس المختلفة لمعرفة ما اذا كانت الاجناس من اصل واحد • ثم خطرت للبعض فكرة طريفة وهى ان يدرسوا عادات الشعوب وخصائصهم الاجتماعية بدلا من التركيز على خصائصها السلالية • وسموا هذا انتروبولوجيا اجتماعية والحق انى لا اعرف بالضبط الفرق بين هذه الانتروبولوجيا الاجتماعية وما نسميه اليوم الاثنولوجيا • كلها اسماء مضحكة • المهم ان علماء الانثروبولوجيا الطبيعية بالغوا فى احكامهم على سلالات الشعوب لمجرد استعمالهم المساطر والبراجل واخذوا يصدرون الاحكام على البشر • وكان طريفا ان نرى دعاة النازية فى البلاد الاخرى يؤمنون بهذه النظرية رغم انها تثبت تخلفهم الفطرى • مثلا فى مصر ، فى الاربعينات صفق بعض الناس للنازية رغم انها تضع المصريين فى المرتبة العاشرة والعرب فى المرتبة العشرين من درجات التخلف الفطرى الذى لا يجدى معه تعليم • ولما رأينا استفحال خطر هذه المدرسة رأينا من واجبنا ، نحن دعاة الانثروبولوجيا الاجتماعية ، او الاثنولوجيا ، ان نهاجمها بقسوة ، لا سيما واننا من انصار الديمقراطية ومن دعاة المساواة بين البشر فأثبتنا ان كل حديث عن السلالة خرافة في خرافة لانه ليست هناك سلالات صافية وكل شعوب الارض بزرميط بسبب الحروب والهجرات المتواصلة ، وأعلنا إن علم الإنسان لا يكون علما الا اذا كف عن قياس اللحم والدم والعظم ووقف عند

دراسة عادات البشر ونظمهم الاجتماعية : مثلا نظام الاسرة نظام التوريث • نظام الحكم • نظام السحر • طقوس العبادات • نظام البغاء • طقوس الافراح والموالد وكل ما يدخل فى باب « الثقافة » و « الحضارة » و « المعتقدات » والعادات الاجتماعية • برونسلاف مالينوفسكى • فى خدمتكم • أنا مثلا مسحت ميلانبزياوبولنيزيا ، وايفانز بريتشارد مسح السودان وفسترمارك مسح شمال افريقيا واستاذنا تيلور مسح الهنود الحمر وصديقتى السيدة سيليجمان مسحت شعوب افريقيا •

مجاهد بن الشماخ : الم اقل لكم ؟ ان عندنا من هو افضل من هذا المبشر الافاق • رحم الله ابن بطوطة والقزوينى وابن خلدون •

مالينوفسكى : ابن بطوطة والقزوينى وابن خلدون ؟ رجال عظام • سمعنا عنهم وقرأناهم من الجلدة للجلدة فى سنة أولى جامعة •

صانع الاقنعة : ادخل فى الموضوع يا مالينوفسكى • السؤال هو : ما قول العلم فى نساء العصر الذهبى ؟ هل كان نظام الاسرة مثلا فى العصر الذهبي ارقى منه فى عصرنا ؟ وأحوال المراة وأوضاعها هل كانت فى المجتمع الذهبى أرقى منها فى مجتمعنا ؟ نحن رأينا صورة المراة فى مرآة الادب فوجدنا ان الحال من بعضه ، وبقى ان نرى صورتها فى

مرآة العلم ٠ لن نتضايق اذا القيت علينـا محاضرة بشرط أن تكون طريقة فنحن فى الاصل ادبـاء كما تعـلم ٠

مالينوفسكى : « انـا بوصفى واحـدا من صـفوة الصفوة فى الانثولوجيا اقرر انى كلما التقيت بمسز سيليجمان او الدكتور لووى وكلما ناقشت راد كليف براون او كروبر ، احس لفورى ان زميلى لا يفهم شيئا فى الموضوع ثـم احس عـادة فى النهاية أن هـذا ينطبق على ايضا ٠ وهـذا ينصب على كل ما كتبناه فى موضوع القـرابة ، وهـذا الاحسـاس متبادل تماما » ٠

صانع الاقنعة : اهـذا من تواضع العلماء أم هى نكتة ؟

مالينوفسكى : مطلقا ٠ هـذه حقيقة ٠ وعلى كل حال مادمتم تطلبون رأيى فسأكتفى بعرض الحقائق واستخلصوا انتم ما تشاءون ٠

ابن أبـدا ؟ فى العصر الذهبى ٠ طبعـا انتم لاتقصدون حواء فى الجنـة قبل سقوط الانسان ، فهـذه المرحلة معروفـة للجميع ٠ سأبدأ اذن من نقطة غير معروفة وهى بدايـة تاريخ حواء على الارض أو بناتها بتعبير أدق ٠ فأول اثر وجـده علماء الآثـار للمرأة على الارض كانت بعض التماثيل الصغيرة بحجم الكف التى يرجع تاريخها الى نحو٠٠٠ر٢٠ سنة ، اى فى العصر الحجرى القديم ، تماثيل لنسـاء ولحيوانات ٠ طبعـا المراة كانت موجودة على الارض قبل هـذا التـاريخ

بسنوات لا تحصى ، ولكننى اتكلم عن اى أثر مادى يـدل على وجود نساء على الارض غير تسلسل الذرية • اكتشفت هـذه التماثيل فى اواخـر القرن التاسع عشر فى كهـوف براسمبوى بجوار مدينة بايون فى جنوب فرنسا فى منطقة جبال البرانس ثم اكتشفت مجموعة اخرى من التماثيل المشابهة فى كهـوف جريمالـدى بجوار مدينة منتون بين الريفيرا الفرنسـية والريفييرا الايطالية • وكانت هـذه التماثيل تتميز كلهـا بطابع واحـد وهو ضخامة الثديين وبروز البطن بـدرجة ملفتة وبجسامة العجز لدرجة لا تطـاق : ومن تواتر هـذه الظاهرة ظن علماء الانثروبولوجيا أولا ان نساء العصر الحجرى كن جميعـا مريضات بمرض تضخم العجز • ولكن هنـاك احتمالا بأن يكون هـذا مجرد اسلوب الانسان الاول الفنـان فى التصوير اى مجرد التركيز على اعضـاء المرأة التى تتصـل بوظيفة الاخصاب والمبالغة فى ابرازها كما يفعل فنان اليـوم فى الكاريكاتير • فالفنـان القـديم لم يهتم بأن يبـين فى تماثيله ملامح الوجه والقدمين ، ولم يعرف ان كـانت هذه لربة الحب أو الاخصاب ام انهـا كانت تمثل نسـاء حقيقيات على كل حال فان العلماء اطلقوا على هـذه التماثيل اسـم « فينوس جريمالدى » تشبها بقولهم « فينوس ميلو » •

صبى النقاش : هـذا يثبت ان فن النحت فن قديم جدا

ماليتوفسكى : لا شـك • لا شـك ، ٢٠٫٠٠٠ سنة

علـى الاقــل ، اى مـا قبــل التـــاريخ • وفى ١٩٠٨ اكتشف عامل كان يشتغل بمـد السكة الحـديد فى قريـــة ويلنـــدورف فى النمســا على شـط الدانــوب رســما أحمـر طوله ١١ سنتيمترا على حجر ، وهـــو من نفس الفترة اى يرجع الى ٢٠٫٠٠٠ سـنة ، وقـد حفر فى الحجر بآلة حـادة أو ازميل ، ويقال انــه اقـدم نموذج معروف من فن التصوير وهـو من حيث التكوين مشابه تماما لنساء فرنسا وايطاليـا منــذ ٢٠٫٠٠٠ سنة على الاقـل فى خيال الفنان : نفس الاثداء الجسيمة والبطن الجسيمة والعجز الجسيم ، صورة مقززة طبعـا بالنسبة لاذواقنا • ولكن الغريب ان هـذه الكتلة من الشحم كانت تلبس سوارا على كل ذراع من ذراعيها وشيئا يشبه الحليــة على الراس يظن انــه كبود • تصـوروا ! حتى فى العصر الحجرى القـديم تفكر المراة فى زينتهـا قبـل ان تستر جسدها ! وغير معروف ايضــا ان كانت « فينوس ويلنـــدورف » او حـواء النمسا تمثل صورة كاريكاتورية ام امراة حقيقية • كذلك عثر علمــاء الآثار فى استوريتز عـــلى صورة محفورة فى الحجر من نفس الفترة تمثـل منظرا غراميا: رجل عــاز ينظر فى ضراعة الى امراة عـارية وقـد رفع يديه وكانه يتوسل ، وعلى فخـذ المراة رسم الفنان سهما رمـــزا لرغبة الرجل ، والوضع كله محترم ويوحى بأن الفنــان الاول لـم يكن متبذلا كبعض فنــانى اليوم • ويثبت أن انســان

العصر الحجرى القديم كان لا يخلو من الرومانتيكية · وقد تصور فريزر وريناخ كعادتهما فى كل هذه التماثيل والنقوش انها لربات الحب والاخصاب ، او بقايا لديانة تقوم على عبادة المراة اختلط فيها السحر بالدين · أما الحقيقة فلا يعلمها الا الله · ولا يقل اهمية عن ذلك تلك الصورة التى وجدها علماء الآثار بكهف فى فالنسيا بأسبانيا عمرها ١٦٫٠٠٠ سنة ، اى من العصر الحجرى الوسيط ، والصورة تصور امراة تعمل ، فهى واقفة على سلم صنع من حبال مجدولة ، تجمع الشهد من خلايا النحل لتضعه فى سلتها ولكن جسم هذه المراة نحيل جدا وهو من الطراز الافريقى ·

على الزيبق الجوكى الشهير بالزنبرك : هذه معلومات ممتازة اذن فلدينا دليل يقينى على ان المرأة كانت تعمل كالرجل تماما ، على الاقل منذ ١٦٫٠٠٠ سنة · وهذا وحده كاف لاخراس كل المعترضين على خروج المرأة لميدان العمل · انا دافعت عن حق العمل للمرأة فى احد مؤلفاتى على الاساس البيولوجى لا على الاساس الانثروبولوجى · حولت رجلا الى امراة وامرأة الى رجل لاثبت حق المرأة فى العمل فظن الاغبياء انى ادعو لحق الرجل فى الحمل وانا اقطع بأنها كانت دسيسة رجعية ·

ابو الفتوح الصباح : مهلا ، مهلا ، لو فكرت جيدا فى الصورة لوجدت أن المراة لم تكن تعمل طبيبة أو محامية

او مهندسة او موظفة ولكن كانت تعمل فى جمع الشهـــد ، اى تعمـل فى التدبير المنزلى وهـذه بالضبط هى الوظيفـة الطبيعية للمراة كما قلنـا ، وان تجمع المراة الشهد ؟ طبعـا لزوجها واطفالها • وهـذا بالضبط ماندعواليـه : ان تجمع المراة الشهد لزوجها واطفالها • وان تعمل وتعمل وتعمل ولكن فى التـدبير المنزلى فقط • برافو يا خواجه مالينوفسكى ، لاشك ان العصر الحجرى الوسيط كان عصرا ذهبيـا وانتـم تسمونه بالخطـأ عصرا حجريا •

على الزيبق الجوكى الشهير بالزنبرك : مهـلا • يـا ابـا الفتوح ياصـباح • انـا موافق على ان تعمل المراة فى التـدبير المنزلى فقط ، ولكن على مستوى الدولة كلهـا •واذا كانت المراة منـذ ١٦٫٠٠٠ سنة تجمع الشهد بيـــديها فى سلتهـا لاسرتها بوسائل الانتاج البدائية هـذه فقـد تقدمت وسائل الانتاج بعـد ١٦٫٠٠٠ سنة واصبح فى امكانها اليوم ان تـدير مصنعا لانتاج العسل الطبيعى والصناعى وكافـة انواع المربات وتعليبها بالوسائل الآليـة فى البرطمانات او الصفيح للاسرة الكبيرة وهى اسرة المجتمع كلــه بـدلا من حجزهـا فى بيت سيادتك لتصنع لك وحـدك مربة الخـوخ والمشمش ولـكى تتمكن المـراة من ذلك يجب ان تدخل كلية الزراعة • وقياسا على هذا يمكنهـا تربية العجول والاغنام وانتـاج السمن والزبـد والجبن للامـةكلهـا بـدلا من تربية

ديك ودجاجتين فقط على سطح سيادتك • أيها التقدميون ! اهتفوا معى : فلتحيا الاثنولوجيا ! فلتحيا الانثروبولوجيا الاجتماعية !

مالينوفسكى : أنا سعيد بهذه المقاطعات أيها السادة وارجوكم ان تقاطعونى كلما استطعتم ، فهذا أولا يريحنى من الكلام المتواصل فى شيخوختى ، وهو ثانيا يتيح لى البقاء فى بلادكم الجميلة هذه أطول مدة ممكنة ، وهو ثالثا يعطينى فرصة ذهبية لدراسة مجتمعكم البديع اثنولوجيا فانا ارى أمامى نماذج بشرية ممتازة وغرائب فى التفكير والسلوك تستحق الدراسة والتسجيل • مثلا كل هذا الانفعال الجميل بسبب ان المرأة تعمل أو لا تعمل ، نحن نسينا هذا الانفعال فى اوربا منذ مائتى سنة بالضبط ، اى منذ الانقلاب الصناعى • واذا كان يهمكم ان تعرفوا تاريخ العمل بالنسبة للمرأة ، فالمرأة العاملة بالمعنى التام بدأت منذ انتهاء عصر الصيد وابتداء عصر الزراعة ، اى منذ نحو ٧٠٠٠ سنة ، أما عصر الرعى فلا داعى للكلام عن العمل فيه سواء بالنسبة للرجل أو بالنسبة للمرأة لان الرعاة قد يحسنون المشى أو ركوب الخيل والابل أو الغزو والسطو ولكنهم لا يعملون بتاتا وكانت أول الاعمال التى قامت بها المرأة رسميا منذ ٧٠٠٠ سنة هى البذر والحصاد وصناعة المنسوجات • وأعتقد ان المرأة لا تزال اليوم تزاول فى ريفكم كل هذه الاعمال •

على الزيبق الجوكى الشهير بالزنبرك : وبنــاء عليـه يجب ان نطالب للمراة بادارة اراضى الاصلاح الزراعى وبادارة مصانع النسيج فى المحلة الكبرى وكفر الدوار وشبرا الخيمة ٠ بهـذا نمارس المراة نفس الاختصاصات التى كانت تمارسها منـذ ٧٠٠٠ سنة ٠

مالينوفسكى : هـذا شأنكم وانـا لا ادحل فيـه والا قلتم عنى انى عميل ، نحن نشكو اليوم من ان نســاءنا يحكموننا ٠ انا مثلا كنت اسلم كل مرتبى لمسز مالينوفسكى ولا استطيع ان اتأخر فى النادى أو البار بعد الساعة العاشرة وهو موعـد اغلاق البارات فى انجلترا ، وعنـدما أريـد ان اسمع باخ وموزار تفرض هى على ســماع تشايكوفسكى وشوبان لانهـا رومانتيكية فأحس بحـاجة الى القىء ٠٠٠ حتى الوان بـدلى وكرافتاتى تختارها لى ٠ ولكن صدقونى ، ان الحالة كانت اسوأ بكثير فى مجتمع العصر الذهبى ، اليس هـذا ما تقصدون ؟ أى عصر قـديم هـو العصر الذهبى ؟ كانت الحالة اسوأ بكثير فى مجتمع ما قبل التاريخ او عـلى الاصح قبل اكتشاف الزراعة ٠ فقـد كان النســاء يحكمون الرجال حكما رسميا لا مجرد حكم مجازى ، واقمن فى قبائل كثيرة نظـاما سياسيا واجتماعيا يسمى « الجيناوقراطية » اى « حكومة النساء » وهو مثل قولنـا « ارستقراطية » لحكم الاشراف « ديموقراطية » لحكم الشعب ٠ وقـد اكتشف

علماء القرن التاسع عشر ان سبب قيام هذا النوع من الحكم هو نظام الزواج على المشاع فى مجتمعات انسان ما قبل التاريخ وفى مجتمعات الفطرة وقد بقيت بعض آثار هذا النظام فى بعض مجتمعات الانسان التاريخى . وفكرة الزواج على المشاع طبعا فكرة تصدم الشعور ، ولكن اذكروا أنه لاشعور فى العلم ، ثم ان بعض الفلاسفة المثاليين المحترفين من امثال افلاطون دعوا لها . وافلاطون فى « الجمهورية » اوصى بتطبيق الزواج على المشاع بين طبقتين فى المجتمع : الطبقة الحاكمة وطبقة الجنود ليكون النسل ابناء الدولة بالمعنى الحرفى لا بالمعنى الجازى ، واوصى بنظام الاسرة فقط للطبقة الثالثة وهى الطبقة الوسطى او الطبقة البورجوازية من ارباب المهن والحرف . على كل حال نظام الزواج على المشاع ترتب عليه طبعا ان الاب كان غير معروف وان ولاية الام على الابناء كانت تامة ، وهذا اكسب المراة مكانا ممتازا فى المجتمع وبهذا انفردت بالسلطة السياسية والسلطة المدنية اذا اردتم ان تسموا هذا المجتمع « مجتمع القطيع » فلا بأس من هذه التسمية ، كذلك كان للنساء سطوة عظيمة فى إقتصاديات المجتمع عن طريق التدبير المنزلى وغير المنزلى .

على الزيبق الجوكى الشهير بالزنبرك : انا اتلمظ . ابو الفتوح الصباح يصر على تسمية هذا المجتمع بالمجتمع

الـذهبى • هـو يمجـد الفطرة اعطه مزيـدا من الفطرة يـا خواجة مالينوفسكى •

ابـو الفتوح الصباح : اعـوذ باللـه ، اعـوذ باللـه •

مالينوفسكى : كانت حكومة النساء تستند الى مبـدأ شرعى اسمه « الحق الاموى » باللاتينية « يوس ماترنوم » وكان اول من لفت النظر الى وجود هـذا النظام الاموى مبشر جزويتى اسمه لافيتو ، كان فى اوائل القرن التاسـع عشر يـدرس قبائل الهنود الحمر فى امريكا الشمالية ووجـد هـذا النظام ممارسا بين الهنود الحمر •

مجاهد بن الشماخ : الم اقـل لكـم ؟ المبشرون دائما وراء هـذه الافكار الحقيرة المفسدة •

مالينوفسكى : لا تغضب يا سيدى • انت على حق الى حـد مـا ••• هكذا بدا الامـر فى اول الامر ، لانه لم يتجول فى المجتمعات البدائية غير المغامرين والمبشرين • منابع النيل مثلا اكتشفها المبشرون وبعض المغامرين المجانـين ، وربمـا بعض الجواسيس المتقفين ،فهـل معنى هـذا ان منابع النيل غير موجودة ؟ لمـاذا لا تتشبهون بنـا ؟ انتم ترسلون بعثات تبشيرية لنشر الاسلام فى افريقيا الاستوائية وترسلون بعض الملحقين والمـدرسين ورجال العلاقات العامة ولو ان كل واحد من هـؤلاء درس عادات القبائل الزنجية التى يتصـل بهـا ولهجاتهـا ونظمهـا وديانتها وكتب عنهـا تقـارير لوزارتى

الخارجية المصرية والتعليم بدلا من كتابة التقارير والشكاوى فى زملائه ، لاستفاد علم الانثروبولوجيا الاجتماعية فائدة عظيمة • وعلى كل حال فالاوربيون كانوا منذ ١٥٠ سنة مثلكم تماما ، فحين اعلن الاب لافيتو نظريته عن المجتمع الاموى (نسبة الى الام لا الى امية) صدمت آراؤه ابناء عصره ولم يقتنع بها الا الاقلون • حتى نشر باخوفن الالمانى كتابه المعروف « الحق الاموى » فى ١٨٦١ فأحدث كتابه زلزلة كبيرة فى اوروبا كلها واعتبرت آراؤه اكتشافات اجتماعية خطيرة • كانت نقطة الابتداء عند باخوفن ماروا‌ه هيرودوت من أن أهل ليسيا كانوا يسمون ابناءهم باسم أسرة الأم ، نأخذ يجمع الشواهد من التاريخ ومن المجتمعات البدائية ومن آداب القدماء ، وتوصل الى وجود مجتمعات عديدة تحكمها المرأة ونظام الارث فيها يتبع الخط الاموى • وحتى فى بلادكم الجميلة اشتبه بعض العلماء فى ان اسماء القبائل المؤنثة مثل ثعلبه ومرة وقضاعة وامية ليست الا بقايا مجتمعات أموية قديمة جدا فى شبه جزيرة العرب كانت فيها حكومات نساء وبقيت الاسماء بعد انتقال هذه القبائل الى مرحلة المجتمعات الابوية • ولم يكن باخوفن هذا رجلا تقدميا يطالب بتحرير المرأة واشراكها فى مسئوليات الحكم بالحق وبالباطل بل كان على العكس من ذلك رجلا محافظا ينظر بامتعاض الى سيادة المراة ويعتقد انها مرحلة تخلف

وانحطاط وبدائية . فالطبيعة حقيقة جعلت المرأة هى الحاكم الطبيعى فى الاسرة والمجتمع ... وسيادة الرجل المتأخرة تقوم على الاغتصاب فى التنظيم الاجتماعى ، ولكنه اغتصاب كان فى مصلحة الانسانية وتقدمها . فعند باخوفن ان المراة مساوية للفطرة والجسد بينما الرجل مساو للمدنية والعقل وسيطرة العقل والمدنية طبعا ارقى من سيطرة الجسد والفطرة . هذا على كل حال راى باخوفن وحكمه وليس رأيى وحكمى فانا ليست لى آراء واحكام . انا فقط اسجل واجمع وادرس ولكنى لا اصدر احكاما . وطبعا هلل الذكور منذ مائه سنة لنظريات باخوفن لانها نادت بامتياز الرجل على المراة ، ولكن الذكور فى أوروبا كانوا اغبياء لانهم لم يفهموا ان كلام باخوفن رغم ارضائه لغرورهم كان اول معول حقيقى قوض سلطان الرجل فى العالم لانه زعزع ايمان الناس بسيادة الرجل سيادة ازلية ابدية وعرف الناس ان الرجل لم يكن دائما حاكما فى الاسرة وفى المجتمع . والحاكم الطارىء يمكن ان ينزع منه الصولجان ، فهو قابل للعزل او التنازل .

ولم يلبث الاثنولوجى الامريكى مورجان ان دعم نظريات باخوفن فتتبع تحول مجتمع قبيلة من الهنود الحمر هم الايروكوا من نظام الحق الاموى الى نظام الحق الابوى فى زمنه وكتب عنها ودرس شيوعية الزواج فى مجتمعات

القطيع وظهور بـدايات التنظيم الاجتماعى فى مجتمع الصيد حيث قسمت كل قبيلة الى مجموعات ، كل مجموعة رجالهـنـا حرم عليهم ان يتزوجوا من نسائها ولكن أبيح لهم ان يتزوجوا من نساء المجموعات الاخرى ، مع بقـاء الزواج جماعيـــا لا فرديا ، وهو مـا ابقى المجتمع تحكمه المراة فى كل مـا يتصل بعلاقات الاسرة وبالتوريث نظراً لعـدم تحديد الآباء • ولكن مـا ان تطورت وسائل الانتاج بحيث امكن للفرد ان يستغنى عن الجماعة حتى ظهر التخصص فى الزواج ، اى ظهرت الاسرة بالمعنى الحديث كنتيجة مباشرة لظهور المـلكية الفرديـــة • وانتقلت السيادة للرجل باعتبار انه الاقوى والانشط فامتلك الرجل المراة وفرض عليها التخصص لـه بينما احتفظ لنفســه بحق التعـدد الى مـدى ملكيته لضمان انتقال الارث الى اولاده هـو لا الى اولاد الرجال الآخرين • وهكـذا انتقـل المجتمع من النظام الاموى الى النظام الابوى بظهور المـلكية الخاصة ومعـه ظهر نظام الرق الـذى لم يكن معروفاً فى الشيوعيـــة الاولى ، ظهر نظام الرق لمـا للرقيق من قيمة اقتصادية فى فلاحـة الارض والزراعة بوجه عـام • وبهـذا كان اكتشاف الزراعة هـو الخـط الفاصل بين مرحلتين فى تاريخ البشرية مرحلة الشيوعية البدائية ومرحلة المـلكية الفردية وهكـذا كانت مرحلـة الملكية الفردية بدايـة ظهور نظامين من اهـم النظم الاجتماعية التى عرفتها الانسانية : نظام الرق ونظام

الاسرة حيث الرجل لا المرأة هـو راس الاسرة وراس القبيلـة وراس الدولـة وراس كـل تنظيـم اجتمـاعى • وتوالـت الدراسات لتؤيـد جوهر هـذه النظرية بين الهنـود الحمر والاسكيمو وزنوج افريقيـا واليونان والرومان ومصر القديمة وسكان ميلانيزيا وبولوينيزيا ••• الـخ • أراكم تتثاءبون يا سـادة متأسف انى لست مسليا بالشكل الكـافى •

القـط الاسود الأليف : لا • لا • هـذا الكلام مثير • انـا شخصيا متحمس • انـا رايت بعض مظـاهر الزواج الشيوعى بين الشلوك والدنكا عندمـا زرت الملكال فى العام المـاضى • وانـا شخصيا غير مهتم بالتنظيم الاجتماعى ، ولكنى مهتم بالتكوين النفسى لفطرة الانسان • الحب والغيرة •• كـل فنـان يجـب ان يهتـم بالحـب والغيـرة • ورأيى ان انسان الغابة ارقى من انسان الفيللا ••• انـا بورجوازى ولكنى متحمس لهـذا الكلام •

مالينوفسكى : على العموم انت لست وحـدك المتحمس قبلك فى القرن التاسع عشر التقط آباء الشيوعية كارل ماركس وانجلز وببيل كلام مورجان ورفعوه راية لتحرير المرأة • انجلـز وببيل بالذات أقاموا المظاهرات ـ فى الكتب طبعـا ـ لاراء مورجان وفصلوا منهـا ثوبـا غريبا على قامة نظريتهم الشيوعية : مادام نظـام الاسرة وسيادة الرجـل قد ظهـر!

ـ كنظام الرق ـ بظهور الملكية الفردية فباختفاء الملكية الفردية سيختفي نظام الاسرة وستختفى سيادة الرجل وسيختفى نظام الرق • فى البدء كانت شيوعية الفطرة وفى النهاية ستكون شيوعية المدنية • الملكية العامة لوسائل الانتاج ••• الآلى والحيوانى والنباتى ••• الفكرة رومانتيكية غريبة وتشبه البيوت التى يبنيها الاطفال بالمكعبات •

ابو الفتوح الصباح : الفكرة حيوانية حقيرة •

ابن سيركوف : الفكرة صحيحة نظريا ولكنها سابقة لاوانها عمليا •

ابن ماركوف : الفرق بين زراعة ابناء الاسرة وزراعة ابناء الدولة هو الفرق بين الكولخوز والسوفخوز • وبالتقدم من الاشتراكية الى الشيوعية ستتقدم من الكولخوز الى السوفخوز • الفكرة صحيحة نظريا كما قال ابن سيركوف ولكنها سابقة لاوانها •

ابو الفتوح الصباح : يا صانع الاقنعة هل انت نائم ؟ ارحنا من هذه الحقارات والتهجم على المقدسات والا خلعت هذا الحذاء ، اطرد هذا الخواجه وكل هؤلاء الضبية •

مالينوفسكي : ولماذا تطردنى ؟ انا من رايك ولكن لغير الاسباب التى تبديها • نحن فى أوربا نرد على العلم

بالعلم ونرد على المقدسات بالمقدسات · كنا مثلكم واغضع منكم ، نغضب اذا لم يعجبنا كلام الغير ونعقد محاكم التفتيش ونحرق خصومنا فى الراى على الخازوق · ولكننا اكتشفنا ان الاضطهاد ، للافكار كالزيت للنار يزيدها اشتعالا كما حدث فى تاريخ الايان والمذاهب الكبرى وتعلمنا الدرس فعالجنا هذه المسائل بالمؤتمرات والندوات ··· بالحوار · بالحوار فى الكتب وفى الصحف وفى القاعات وفى الاذاعة والتليفزيون وهم يفعلون مثلنا فى امريكا ، وقد بلغنى انهم اخذوا بهذا المبدأ ايضا فى الاتحاد السوفييتى بعد موت ستالين · المسألة بسيطة · نحن اكتشفنا ان القردة العليا متخصصة فى الزواج وان هذا من اسباب تقدمها على القردة السفلى كالنسانيس مثلا · اكتشفنا ان التخصص فى الزواج او ما نسميه نظام الاسرة ليس اختراعا بورجوازيا كما يقول بعض الشيوعيين ولكنه اختراع انسانى عظيم لا يقل مثلا عن توليد النار أو اختراع العجلة أو تفتيت الذرة ، وهو السبب الاول او من الاسباب الاولى فى الانتقال من ما قبل التاريخ الى التاريخ لان تحويل القطيع لوحدات صغيرة اسمها أسر كان معناه تعيين معلم أو معلمة بالمجان فى كل بيت ، ملايين المعلمين دون ان يدفع المجتمع قرشا واحدا من مرتباتهم ، معلم ومعلمة على كل عشرة اطفال · باختصار ضاعفنا عدد

المعلمين فى المجتمع ، لان الطفل فى زواج القطيع لا تربيه غير امه ، وهى عادة مشغولة بأعمال الاسرة المباشرة • أما فى مجتمع الاسرة فالاب يساعد الام فى تربية الطفل • وبعد فترة الحضانة يصبح المعلم الاب انفع للطفل من الام العامة لان الأم تعلمه كيف يستهلك أما الاب فيعلمه كيف ينتج • المسألة ليست ان امتياز الرجل على المراة هو الذى خلق الحضارة كما كان يقول باخوفن • المسألة أن مجتمع الاسرة ضاعف عدد اعضاء هيئة التدريس فيه فنشأت الحضارة وقد ثبت بالتجربة أن الوالدين بوجه عام اخلص فى تعليم الابناء من الغرباء لانهم أولا يرون انفسهم من ابنائهم ولانهم ثانيا متفرغون لهم • وكل هذا بالمجان • تصوروا • وانتم فى مصر شعب حكيم ، فقد بلغنى ان عندكم مثلا يقول فى وصف خيبة الامل : « ياباني فى غير ملكك يا مربى فى غير ولدك » • واذا كان عقوق الابناء مشهورا فما بالكم بعقوق أبناء الغير ! باختصار : نظام الاسرة كان ثورة تربوية وتعليمية • وهذه الثورة ساعدت على نقل الانسان من الهمجية الى المدنية • صحيح ان ظهور نظام الاسرة ترتب على ظهور نظام الملكية الخاصة ولكن العودة لنظام الملكية العامة لا يستلزم بالضرورة العودة لنظام الزواج الجماعى هذه تكون غباوة لان معناها التنازل ..اختياركم عن نحو ثلاثة ملايين مدرس خصوصى متفرغ مجانى • وفى

الهوجة الشيوعية الاولى ظن الروس حتمية الزواج الجماعى مع حتمية الملكية الجماعية لمجرد انهم قرأوا هذا الكلام فى انجلز وبيبل ثم تخلصوا فورا من هذه الحرفية الصبيانية وحافظوا على نظام الاسرة بعد أن عدلوا بعض قوانين الزواج البالية • وهذا ما فعلناه نحن أيضا عدلنا بعض قوانين الزواج البالية وحافظنا على نظام الاسرة ••• لا تخافوا يا سادة • أنا لست شيوعيا ولكنى اقول لكم انه ليست هناك علاقة حتمية بين الملكية الجماعية والزواج الجماعى والا كانت العودة الى الشيوعية الاولى معناها العودة الى الاسلحة الاولى أو الحياة على طريقة الهنود الحمر ويمكنكم ان تؤمموا كما تشاءون اذا وجدتم فى هذا نفعا لكم ، ولا تخافوا على نظام الاسرة • انا شخصيا لا اوافق على نظام الملكية العامة ولكنى تتبعت بامتعاض شديد حملة التشهير بالاتحاد السوفييتى التى قامت بها صحافتنا الصفراء بين الحربين لتثبت أن الروس عادوا ـ جنسيا ـ بسبب الشيوعية الى فردوس القطط والكلاب • انهم مازالوا مثلنا اقرب الى القردة العليا •

صانع الاقنعة : هل انتهيت يا خواجه ؟

مالينوفسكى : انا لم انته بعد ••• انا تعبت •

صانع الاقنعة : انت ممل جدا ولكنك مفيد • سنعطيك اسبوعا كاملا للراحة ••• حتى يوم الجمعة القادم •

رفعت الجلسة •

× المحاورة الخامسة ×

بتاح / حتب وحمورابى وشركاهم

قال رئيس الجلسة ، صانع الاقنعة ، للخواجـــــــة مالينوفسكى : ـ تفضل يا خواجة · قـل كل ما عنـدك فى جلسة واحـدة · هـذه ليست اكاديمية ولا قـاعة محاضرات ، انمامجردحـوار فكرى ··· ثم ان بعض الاعضاء مســتاء من تجـديد اقامتك ، ويطالب باعادتك فـورا الى وطنـك بأول طائرة ·

مالينوفسكى : انا لا وطن لى · العالم كلـــه وطنى · الستم تقولون فى بـلادكم الجميلة : العلم لا وطن له ؟ إنـا عالم : اذن لا وطن لى · انظروا الى اسمى : مالينوفسكى - أى روسى بولندى · ومع ذلك اقيم فى انجلتـرا وادرس فى جامعات انجلترا واطوف بجامعات العالم ·

ابن ماركوف : أبيض أو احمر ؟

مالينوفسكى : لاابيض ولا احمر ، انـا من اللون الثالث

ابن ماركوف : وما هـذا اللـون الثالث ؟

مالينوفسكى : أنـا تكنوقراطى ، خبير من طبقة الفنيين كمـا تقولون فى بلادكم : خبير اجناس وعادات وتقاليد ، والتكنوقراطية ليس لهـا لون محـدد . هى تخـدم فى كـل نظام ، ، تماما مثـل البيروقراطية ، وتماما مثـل طبقة المديرين نحن مثـلا ندرس الاجناس او نصنع الصواريخ أو تدعونـا البـلاد المختلفة لوضع التقارير عن مشاكل التضخم أو اختلال ميـزان المدفوعـات او الانفجـارات السكانية او التنميـة الصناعية ، نحن لا نسال : ما لونكم ؟ راسمالى ؟ شيوعى ؟ ثيوقراطى ؟ سمخراطى ؟ جنبلاطى ؟ فلمـاذا تسالوننا عن لوننا ؟ نحن خبراء .

مجاهد بن الشماخ : خبراء تخريب .

مالينوفسكى : نعم هـذا صحيح . بعضنا فعـلا خبراء فى نسف المعتقدات الفاسدة ، على كل حال انـا لست منهم ، لو كنت منهـم لكانت مسـز مالينوفسكى تصيف فى دوفيـل وبياريتز ولاتوكيه بـدلا من ان تصيف فى برايتون وبلاكبول مع زوجات البقالين وموظفى البنوك . انــــا مجرد خبير اجناس وعادات وتقاليد ، اذا اردتم مثلا أن تعرفوا مـــا اصل عـادة الختان عندكم رغم عـدم النص عليهـا فى ديانتكم او لمـاذا تزورون المقابر رغم نهى ديانتكم عن زيارتها ، أو لماذا تقاومون دعـوة تحـديد النسل رغم انكم مهـددون

بمجاعة سنة ١٩٨٠ حيث سيبلغ تعدادكم ٤٥ مليونا . فأنا فى خدمتكم · كل ما أطلب هو عقد عمل خمس سنوات قابلة للتجديد لمدة اقامتى ، انا شخصيا من نوع التكنوقراطية التى تصنع القنابل الذرية وسفن الفضاء وافكار السلام وأفكار الدمار ولا يهمها من يستعملها أو لماذا يستعملها ، ضمير مهنى ، نعم · أما ضمير انسانى فلا · نحن خدم ممتازون فى كل دولة · أو على الاصح كنا خدما ممتازين حتى الحرب العالمية الثانية ، فلما زاد عددنا بتعقد المدنية تكونت منا طبقة لا تستطيع اى دولة الاستغناء عنها ، والشعار الان فى بلادنا : يا تكنوقراطى العالم اتحدوا لتحكموا العالم ، هناك طبعا كلام فارغ كثير عن اخطارنا وضرورة الحد من شوكتنا ، ولكن كل هذه سخافات ، لانه ليس لنا بديل فى اى نظام · انتم مثلا ، أنا أقمت بينكم اسبوعا واحدا وعرفت للفور ان عندكم مشكلة تجمع طبقى تكنوقراطى ـ بيروقراطى ـ ادارى لمكافحة تقدم الاشتراكية فى بلادكم ، وهذا مألوف ، ثم زواج مصلحة غير مألوف بين انتهازية اليمين وانتهازية اليسار ، أنتم بحاجة الى خبير أو خبراء فى التنظيم الاجتماعى أنا ارشح لكم صديقى البروفسور ··

صانع الاقنعة : ما كل هذا الاستطراد يا خواجة ؟ انت جئت لتحدثنا عن حال المرأة الذهبية فى العصر الذهبى ،

فما كل هـذا اللغـو عن التكنوقراطية والبيروقراطية ؟ ... ادخل فى الموضوع والا فاسكت .

مجاهـد بن الشماخ : الم اقـل لـكم ان هـذا الاوروبى النجس لا يريد ان يعود الى بـلاده ؟ هل سمعتم ؟ انــــه بطلب عقـد عمل ... اطرده .

صانع الاقنعة : بالحسنى بالحسنى .

كاهن انوبيس : انــا احتج على الخواجة مالينوفسكى اذا استمر فى الكلام ، هـو حدثنا عن حـالة المـرأة الذهبية فيما قبل التاريخ ، وهـذا حقـه لانـه اختصاصى فى مجتمعات الفطرة الذهبية . امـا ان يدخـل فى التاريخ فهذه اسـاءة لتاريخنا ولتاريخ الجنس البشرى . اذا تكلم مالينوفسكى عن قدمـاء المصريين فسأنسحب . لن أسمح أن يعامل قدمـاء المصريين معاملة البوشمان والهوتنتوت والاشانتى . ائتنـا بمؤرخ .

مالينوفسكى : انتم فعـلا بحاجة لمؤرخ . انى متعهـد توريـد حضارات قديمة ووسيطة وحديثة . انـا سـعيد يا سـادة بأنكم اصبحتم تميزون بين الانثروبولوجى والمؤرخ لابـد ان هـذا حـدث بعد ثـورة ١٩٥٢ ، فقـد كنـا ايـام فـؤاد وفاروق نرسل لكم السمكرى فتعينونه مديرا للمصانع والشاويش فتعينونه حكمدارا والمرابى فتعينونه مستشـارا ماليا . انـا اعرف طبيبا بيطريا كان يـدرس الادب الانجليزى

بجامعة القاهرة ، على الاقـل انتم تفضلون الآن الحواة لشغل المناصب الكبرى • والحواة ارقى بكثير من هـذه الحثالة • فحواة الثقافة يستطيعون ان يثبتوا لكم ان الشيخ زبير هـو الـذى كتب اعمال شكسبير وان عباس بن فرناس هـو الذى بدأ فى غزو الفضاء وان اللغة العربية اقدم من اللغة اليونانية وان ايخمان رسول من رسل القومية العربية وان المسيح صلب ولم يصلب بحسب الظروف الدولية تماما مثل الحواة من كرادلة المجمع المسكونى ، وان خوفو بنى الهرم لتنشيط السياحة وان ابا ذر الغفارى هو مؤسس المـادية الجدلية وابن خلدون هو واضع الاشتراكية العلمية • وحـواة الاقتصاد يثبتون لكـم كل يـوم بعلم السيمياء ان الرقم القياسى لنفقات المعيشـــة فى انخفاض مستمر وان القاهـرة ارخص بلـد فى العالم وان نسبة نجـاح الخطة الخمسية ٥٠٠٠٪ وان احتياطيات مصر من البترول تربو على كل احتياطيات العالم مجتمعة ، وانـه انفع للاقتصاد القومى ان يبيع خريجو الجامعات الزائـــدون الدجاج فى الجمعيات التعاونية من ان يقوموا بمحو الامية ، وامهر هؤلاء الحـواة جميعا هم من يستطيعون ان يثبتوا ان موارد مصر تستطيع اطعام سكان الصين الشعبية ، سانسحب فـورا ايهـا السادة • واشكركم على حسن الضيافة وحسن الاستماع • اذا اردتم مؤرخـا ، فلماذا لا تدعـون صديقى السير جيمس فـريزر او هيكله العظمى على الاصـح ؟

كـاهن اتوبيس : نحن نعـرف من ندعو يا خواجـة ٠ كل اساتذة جامعتنا يقولون : هاتوا روستوفتسيف ٠

صانع الاقنعة : روستوف ٠٠٠ ايـه ؟

كاهن اتوبيس : روستوفتسيف ٠

صانع الاقنعة : لـماذا تختار هـذه الاسماء الصعبة ؟

كاهن اوتوبيس : انـا لا اختار ، هـذا احسن الموجود٠

مجاهد بن الشماخ : انـا معترض على دعوة هـــذا المبشر المسيحى الشيوعى الامريكى ، الا ترون ان اسمـــه شيوعى ؟

ابن ماركوف : موافقون ٠٠٠ اى : اوف ، او ايـف اوافسكى او انسكى موضع ثقـة فى اى علم من العلوم ٠ مثلا مندليف حجـة فى الفلزات واللافلزات ودياجيليف حجـة فى الرقص ، وليونتييف حجـة فى الاقتصاد وزينوفييف حجـة فى المؤامرات كذلك بافلوف حجـة فى البيولوجيـا وتيتـوف حجـة فى غـزو الفضاء ومولوتوف حجـة فى السياسة الخارجية وجوكوف حجـة فى الحرب ورمسكى كورساكوف حجة فى شهر زاد وشرباتوف حجة فى الفلسفة وتوجان بارانوفســـكى ومايا كوفسكى ، ثم لا تنسبوا ايضا من ينتهون بمقطع اين مثل بوخارين وجاجارين وباكونين وبورودين ٠ كلهم كلهم موضع ثقتنـا ٠

ابن سيركوف: لا · لا · روستوفتيسيف امريكى من اصل روسى · ثم انه ليس شيوعيا ·

ابن ماركوف : ولو ···

مجاهد بن الشماخ : بالضبط هذا يثبت ما قلته من انه جامع النقيضين : مبشر وشيوعى ·

صانع الإقنعة : يبدو ان الاغلبية موافقة ، ولكن لغير الاسباب التى ابداها مجاهد بن الشماخ ··· ادباؤنا لم يسمعوا بعالم فى التاريخ القديم بعد شمبوليون وماسبيرو ومرييت لان هناك شوارع بأسمائهم حول الانتكخانة ، وبالاخص ماسبيرو الذى فيه التليفزيون العربى واذونات الصرف ، وعندما تشطب الحكومة اسماءهم وتسمى الشوارع شارع احمد باشا مدرم وشارع سليم بك حسن وشارع كمال الملاخ فلن يعرف ادباؤنا احدا من هؤلاء الخواجات ···· القاعدة فى مصر : اسمى على شارع اذن فأنا موجود · سليمان باشا الفرنساوى مثلا الغينا شارعه فالغينا وجوده · هل توافقون على دعوة شمبوليون ؟

المعلم العاشر : ولكن معلوماته قديمة · ادع برستيد أو اليوت سميث او فلندرز بيترى ·

أصوات كثيرة : موافقون · موافقون · الدهن فى العتاقى

صانع الاقنعة : الاغلبية موافقة · أدخل يا شمبوليون

وهنا اختفى مالينوفسكى فى طرفة عين ، ودخل شمبوليون فى طرفة العين الاخرى ·

شمبوليون : انا مت منذ ١٣٠ سنة فلماذا تزعجوننى من قبرى ؟ ماذا تريدون ؟

صانع الاقنعة : متأسفين ··· ولكن اردنا ان نعرف منك شيئا فى حال النساء فى العالم القديم لنقارنهن بنساء اليوم · هناك بيننا من يقول ان نساء الزمان الغابر كن افضل من نساء اليوم ، ويطالب لذلك بالعودة للزمان الغابر انا انبه على جميع الحاضرين ··· ممنوع المقاطعة ·

شمبوليون : انا لا اعرف حكاية افضل واردأ هذه · هذه احكام ، وانا لا اتعامل الا مع الحقائق فقط ·

ابو الفتوح الصباح: يعنى ان نساء زمان كن اولا يقبلن حكم الرجال ولا يفكرن فى هذه السخافات التى يسمونها اليوم تحرير المراة ··· وكن ثانيا اكثر عفة من نساء اليوم ·

صانع الاقنعة : ممنوع التعليق ·

شمبوليون : عفة ؟ هئ ··· هئ ··· هئ ··· اين ؟ فى اليونان ؟ انت لا تقصد ان هيلانة طرواده وفيدرا وجوكاستا وميديا وكليتمنسترا كن نماذج فريدة فى العفة ؟ الادب اليونانى والرومانى اكثره منسوج حول نساء خائنات او ضاريات · فى مصر القديمة عندكم قصة زليخة امرأة

العـزيز تتردد كثيـرا فى الادب المصرى القـديم • مكـررة بحذافيرها فى قصة الاخوين وفى قصة المراة عاشقة الفتى الذى اكله التمساح المسحور وغيرها • اليس الادب مرآة الحياة ؟

أمـا فى بابل فهيرودوت قبـل نحـو ٥٠٠ ق•م (١٩٩/١) قال ان كل امراة فى بابل ، يعنى العـراق ، كانت قبل زواجهـا تذهب الىمعبـد عشتروت ربـة الاخصاب وتسلم بكارتهـا لاحـد الغرباء ، اى غريب يأتى ويلقى فى حجرها قطعـــة من النقود • طبعـا هـذه كانت طقوسا دينية • نـوع من النذر كما تسمونه هنـا ، لربة الاخصاب ، او قربانا تقـدمه المراة لربـة الاخصاب ، وكان محرما عليها ان تجرب هـذه التجربة مرة ثانية بأى حال من الاحوال ، اذا كانت هـذه عفـة ، فـلا بأس ، لا بأس ، فى امريكا اليوم كثير من البنـات يقمن بهـذه الجراحة قبل الزواج عنـد الطبيب ، لاسباب صحيـة لا لاسباب دينية • تعـددت الاسباب والفعـل واحـد •

ابو الفتوح الصباح : اعـوذ باللـه اعوذ باللـه •

شمبوليون : اما حكاية خضوع المراة لولايـة الرجل فى العالم القديم فهى صحيحة بوجـه عام : صحيحة بين اليونان صحيحة بين الرومـان • المجتمـع الوحيـد الـذى شـذ عن هـذه القاعـدة هو المجتمع المصرى القديم •

فى معلوماتى القليلة عن تاريخ الشرق القديم ان مصر هى التى ابتدعت حركة تحرير المراة • مثلا فى برديـــة آنى

(نحو ١٣٠٠ ق٠م٠) ما يثبت ان الزوج المثالى فى مصر القديمة هو الذى كان يغسل الصحون مع زوجته ويقشر معها البطاطس مثل الزوج الامريكى ، ويعاملها معاملة الند ، فلا يستعمل معها « المريسه » ، آنى ، حكيم الدولة الحديثة ، يضع للازواج القواعد الذهبية للزواج السعيد فيقول :

« لا تمثل دور الرئيس مع زوجتك فى بيتها اذا كانت ماهرة فى عملها ، ولا تسألها عن شىء اين موضعه اذا كانت قد وضعته فى مكانه الملائم ٠

« واجعل عينيك تلاحظان فى صمت حتى يمكنك ان تعرف اعمالها الحسنة » ٠

« وانها لتكون سعيدة اذا كانت يدك معها تعاونها ٠٠»

ففى عصركم الذهبى اذن كان الرجل الذهبى يمطونا عند المراة الذهبية ٠ وكانت المراة المصرية تسمى « نبت بر » اى « ست الدار » أو « ست البيت » ، ولكن النقوش والنصوص المصرية القديمة تثبت أن سيادتها تجاوزت مملكة البيت ، أو على الاصح جمهورية البيت الديمقراطية الشعبية ٠ فكانت تزرع وتقلع وتخرج الى المدرسة والى السوق وتتاجر وتزاول مختلف الحرف من الصناعة الى الصيد وتتسكع فى الطرقات بلا حارس أو شابيرون او رقيب وكانت طبعا سافرة ٠ وقد استخلص بعض المؤرخين من

ادب الغرام فى مصرالقديمة ان المرأة هى التى كانت تخطب الرجل ... على اى حال فى كل تاريخ بابل واشور لا نسمع الا عن اسم ملكة واحدة حكمت فى الرجال هى سميراميس ، مؤسسة مدينة بابل وبانية الحدائق المعلقة المشهورة • اعتقد انكم فى القاهرة اقمتم فندقا لتخليد ذكراها ، وفى اعلاه روف جاردن لتخليد ذكرى الحدائق المعلقة • أما فى مصر فقد حكمت ملكات كثيرات ، وكن ذوات سطوة عظيمة : احيانا بمفردهن واحياناً مع ازواجهن • احيانا بقوة القانون واحيانا بقوة الواقع • خذوا مثلا نايت حتب زوجة مينا ومريت نايت زوجة أوسافايس وحتشبسوت اخت تحتمس الثالث وتاى ونفرتيتى ونفرتارى ونيوتوكريس وكليوبترا •

خولة المايسطرية : لا تنس شجرة الدر يا خواجة شمبانيا •

شمبوليون : بالضبط • بالضبط • وحتى بعد انتشار اديان التوحيد كان عندكم هيلانة المصرية امبراطورة بيزنطة وأم الامبراطور قسطنطين ، وكذلك ست الملك وشجرة الدر ولو اننا نظرنا فى كل حضارات العالم القديم لما وجدنا شعبا سلم ذقنه للنساء الملكات قبل الشعب المصرى • مجرد الاحصاء يكفى • طبعا هذا لا يدل على الضعف لانكم لاشك كنتم تضربون نساءكم عند الضرورة كما كنا نحن

نفعل منـذ قرون · ولكن هـذه مسألة أخرى · انما يـدل هـذا على ان المرأة عندكم حصلت على حقوقها السياسية من أقـدم العصور · فلماذا تشتكون ؟ ثم ان ملكاتكم عرف عنهن انهن نساء جميلات طامحات بارعات فيفنون الحب والحرب والسلام ، كمـا كن ماهرات فى الدسائس لحسابهن الخـاص ولحساب الدولة · ونحو عـام ١٥٠٠ ق·م· استشرى نفوذ النساء عندكم واضمحل نفوذ الرجال لـدرجة ان كثيرين من الملوك تحولوا الى مجردامراء يحملون لقب « زوج الملكه » على طريقة دوق ادنبره الآن فى انجلترا · وطبعـا هـــذا الاسراف فى تحرير المرأة ، ككل اسراف · كان له رد فعل شديد ضـد حكم النساء ، فقامت حركة بقيـادة الجيش لاقصائهن عن الحكم ، وتبلورت هـذه الحركة فى النزاع المشهور بـين تحتمس الثالث واختـه حتشبسوت · ولكن المرأة المصريـة مع ذلك لم تيـأس · فبعـد ان ضاع سلطانها فى القصر حكمت مصر من المعبـد ، ونحـو القرن ٨ ق·م· اى فى الاسرة ٢٣ ، اصبحت احـدى الاميرات رئيسة الكهنـة بمعبـد آمون فى طيبة ، وكانت تستشار او على الاصح تستخار بالعرافة ، فقـد كان الاله امون يتكلم من فمهـا وينطق بلسانها ، قبـل اتخـاذ اى قرار سياسى خطير · ولـم يكن مسموحـا لهـا أن تتزوج الا من الاله آمون ، ولكن سـمح لهـا أن تتبنى بنتـا صغيرة تـدربها لتخلفهـا فى وظيفتها · وبذلك اصبح

معبد آمون مقرا لحكومة غير رسمية فى الاقصر استمرت أكثر من ٢٠٠ سنة حتى غزا الفرس مصر ٠

والمرأة المصرية لم يقف نفوذها عند السياسة بل بلغت سيطرتها فى البيت أيضا ، لدرجة ان الرحالة اليونان دهشوا من حرية المرأة المصرية واستفحال سلطانها ٠ ديودور الصقلى مثلا كتب ان طاعة الزوج لزوجته كانت من الشروط التى ينص عليها فى عقود الزواج فى مصر ٠ ولكن الارجح ان هذه كانت نكتة يونانية سمجة عن المصريين كالنكت التى يطلقها عندكم البحاروة عن الصعايدة والصعايدة عن البحاروة ، وصديقى العلامة فلندرز بيترى فى القرن ٢٠ كتب ان « الزوج حتى فى العهود المتأخرة كان ينزل لزوجته فى عقد زواجه عن جميع املاكه ومكاسبه المستقبلة » يعنى المثل عندكم فى مصر القديمة كان زواج وخراب ديار ٠ على العموم اى انسان معذور اذا استخلص هذه الصورة عن الحياة الزوجية فى مصر القديمة ، حين يقرأ فى قصيدة غرامية كلام البنت وهى تقول للولد :

« يا صديقى الجميل ! انى ارغب ان اكون صاحبة كل املاكك ، بوصفى زوجتك » ٠ فهو بمثابة قولها : « خذنى فى احضانك لانشل محفظتك » ٠ طريقة غريبة فى الغرام ، ولكنها على الاقل تدل على صراحة نساء العصر الذهبى عندكم ٠ نساؤنا اليوم يفعلن هذا ولكن بالحداقة ٠ وفى

المتحف المصرى عقـد زواج من سنة ٢٣١ ق٠م٠ بين رجل اسمه امحوتب وبنت اسمها تاحاتر نصه :

« يقول امحوتب لتاحاتر » : « لقـد اتخذتك زوجـة ، وللاطفال الذين تلدينهم لى كل ما أملك ٠ ومـا سأحصل عليه الاطفال الـذين تلـدينهم لى يكونون أطفالى ولن يكون فى مقـدورى ان اسلب منهم اى شىء مطلقـا لاعطيه الى آخر من ابنائى ٠ او الى اى شخص فى الدنيا ٠ ستضمنين طعـامك وشرابك الـذى سأجريه عليك شهريا وسنويا ، وسأعطيـه لك اينما أردت » ٠ (غالبا يقصد سواء فى بيتى او بيت أبيك او ربما فى المعمورة اثناء الصيف) ، واذا طردتك اعطيتـك خمسين قطعة من الفضة واذا اتخـذت لك ضرة اعطيتك مائة قطعة من الفضة (وهـذا امـا رشوة لهـا لتبقى معـه أو اعتراف بأن التعذيب العقلى افظع من التشريد) : ويقـول ابى : « تناولى عقـد الزواج من يـد ابنى كى يعمل بكـل كلمـة فيـه ٠٠٠ انى موافق على ذلك » ٠ .

ثـم يلى ذلك توقيعات ١٦ شاهدا على العقـد ٠ والعقد معقول لانـه يعطى كل شىء للاولاد وليس لتاحاتر نفسها ، ومصادرة كل أملاك امحوتب لحساب أولاده من تاحاتر ليس لـه الا معنى واحـد فى مجتمع كان يسمح بتعـدد الزوجات : ان تاحاتر هى الزوجة « الشرعيه » الوحيدة ، وكل من سيأتى بعـدها يـدخل فى باب « المحظيات » وهى انجح طريقة للحد

من تعـدد الزوجات ولمنـع تفتيت املاك الاسرة ، وهـــذا مـا جعل الطلاق نـادرا فى مصر القديمة ، الا فى عصور الانحطاط وكان للمراة حق طلب الطلاق تماما مثـل الرجل حتى جـــاء اليونـان بافكارهم الاوروبية الرجعية وقصروا حق اطلاق على الرجل ايام البطالسة ٠ ٠ امـا تعـدد الزوجات فلم يكـن معروفا الا فى الطبقات الموسرة ٠ وكان ابناء الشعب يكتفـون بزوجـه واحـدة ، غالبا لضيق ذات اليـد ٠ وقـد اكتشفت المراة المصرية الحـديثة هـذا السر ، وهـذا هو السبب فى انهـا تنتف دائما ريش زوجها أولا بأول حتى لا يطيـر من عش الزوجية ٠ ومع ذلك لم يفكر احـد منكم أن هذا يؤثـر فى اقتصـادكم القومى ، على كل حال ، واضح من الادب المصرى القـديم ان المصرى كان رومانتيكيا وواقعيا وكلاسيكيا ورمزيا معـا فى فكرته عن المراة وفى معاملته لهـا ٠ اما اللامعقول فـلم يظهر عنـدكم الا فى الالف سنة التى حكمها الترك والمماليك ، خـذوا مثلا بتاح حتب ، حكيم الدولة القديمة (٢٥٠٠ ق٠م) وهو يحض ابنـه على الزواج ويسلمه مفتاح السـعادة الزوجيـة ٠

« أحب زوجتك فى البيت كما يليق بهـا واملا بطنها واكس ظهرها » ٠

« واعـلم أن الدهون العطرة عـلاج لاعضائها ٠

« أسعـد قلبها مادامت حيـة ٠

« لانهـا حقـل طيب لاولادها ...

« وان عارضتها كان فى ذلك خرابك ...

امـا وصايا الحكماء فى احترام المرأة كأم فنجـدها فى بردية بولاق حيث يوصى الحكيم الابن باحترام امـه للاسباب البيولوجية المعروفة ثم يضـيف :

« ولمـا دخلت المـدرسة وتعلمت الكتابة كانت تقـف فى كل يوم الى جانب معلمك ومعها الخبز والبيرة جـاءت يومـا من البيت » .

والاغلب ان الخبز والبيرة هنـا للمعلم لا التلميذ . على كل حـال الوصف رومانتيكى ويجعل الانسان يتمنى لـو كان معلما فى مصر القديمة يشرب البيرة بين الحصص . فاذا كانت ام تأتى للمعلم يوميا برغيف وزجاجة استيلا كان هـذا اجـدى على المعلمين من مرتبات وزارة التربية والتعليم ، الا توافقوننى على ان هـذا كان عصرا ذهبيـا للنساء والمعلمين ؟

المـاركسية المسخسخة : كيف تقـول انـه كان عصرا ذهبيا النساء وانت تعلم ان القانون المصرى القديم كان يبيح امتلاك الامـاء .

نسمبوليون : وامتلاك العبيد ايضا . امتـلاك البشر للبشر مسالة اخـرى . والحقيقة ان الحـالة تحسنت بعـد سنة ٢٠٠٠ ق.م. تقريبا بتعديل قوانين الاحوال الشخصية فى مصر القديمة . فقبل هـذا التاريخ كان « الزواج » مجرد

الزواج بالمعنى القانونى اى الزواج بعقد ، امتيازا تتمتع به الطبقات الممتازة وحدها ، أما ابناء الشعب فكانوا يتزوجون بلا عقود • فثارت ثورة شعبية كبرى نحو ٢٠٠٠ ق٠م٠ وكان المتظاهرون من العمال والفلاحين والحرافيش يرفعون اللافتات ويهتفون : « القطط والقرود تتزوج بلا عقود ! » « تحيا عقود الزواج ! » « نريد عقود زواج ! » واذعنت الطبقة الحاكمة فاعطت لابناء الشعب حق الزواج بعقود • ويقول بعض المؤرخين ان البروليتاريا المصرية لم تنتفع كثيرا من هذه العقود لان العقود تنظم الملكية والبروليتاريا بلا ملكية • ولكن ثابت من الوثائق ان هذه الثورة أعطت الفقراء الحق فى ان تكون لهم « مقابر أسرة » ، تقيمفيها الاسرة شعائر الموتى ، وبهذا وحده امكن الموتى الفقراء دخول العالم الآخر بحسب معتقدات قدماء المصريين ، كانت البروليتاريا المصرية محرومة من خلود الروح قبل هذه الثورة • وبذلك تكون هذه الثورة ثورة ديمقراطية عظمى ، لانها انقذت البروليتاريا المصرية من مصير القطط والكلاب عند الموت وسوت بين جميع المواطنين فى حق الخلود ، وهذا ما نسميه منذ ظهور اديان التوحيد المساواة أمام الله ، تصوروا : حتى هذا كان بحاجة الى ثورة واعلان حقوق الانسان ، وبديهى انه من ليس له أسرة فلا يمكن ان تكون له قبور أسرة ، وبالتالى لا يمكن

الصلاة عليه وتقديم الرحمة أو القرابين على روحه ، فمصيره اذن مصير القطط والكلاب • وعندكم حتى الآن ان كل من يخرج من مشرحة القصر العينى ولا تظهر له اسرة يكون مصيره مصير القطط والكلاب ، رغم ان عندكم جمعيات للرفق بالحيوان وجمعيات خيرية للرفق بالبشر • وهذا هو سبب ارتعاد الفقراء عندكم من الموت فى القصر العينى •

أظن أن صديقى مالينوفسكى شرح لكم سبب استماتة فقرائكم فى زيارة المقابر رغم انكم لا تكفون عن ترديد انها مكروهة فى الاسلام وغير منصوص عليها فى المسيحية ، انهم فى سنة ٢٠٠٠ ميلادية يحافظون على مكاسب ثورة ٢٠٠٠ ق•م• فاذا كانوا لا يصيبون المساواة على الارض فلا اقل من أن يصيبوها فى السماء • طبعا هذه بقايا وثنية بينكم ،ولكنكم لستم وحدكم فى هذا ، فالعالم المسيحى ايضا يرتعد مثلكم من مصير القطط والكلاب ، هل رايتم الآن فائدة نظام الاسرة ؟

والمراة المصريه طبعا لم تحصل على حقوقها السياسية الا بعد ان حصلت على حقوقها المدنية ، ولم تحصل على حقوقها المدنية الا بعد أن حصلت على حقوقها الشخصية ، مثلا كانت البنت ترث بالضبط مثل نصيب الولد وكانت المراة تتصرف فى املاكها بالضبط كما يتصرف الرجل • عندكم مثلا وثيقة من الاسرة الثالثة

توصى فيهـا سيدة اسمها نبس - سمحت بأطيانها لأبنائها وفى قانون العقوبات وقوانين الاحوال الشخصية كانت المرأة مساوية للرجل تماما · كانت عقوبة الخيانة الزوجية هى الاعـدام لاى طـرف من الاطراف : الـزوج أو الزوجـة أو العشيق أو العشيقة · عقوبة قاسية طبعا ، ولكنهـا تقوم على المساواة على الاقـل ، وفى هـذا بعض العزاء للجنس اللطيف ويبـدو ان المصريين كانوا ينظرون للخيـانه الزوجية نظرتنا الآن للخيانة الوطنية ويعتبرونها ام الكبائر ، مثلا فى بردية آنى ، حـكيم الدولة الحديثـة ، يقول آنى عن الزنـا : « ان ذلك لجرم عظيم يستحق الاعـدام عندما يرتكبه الانسان ثـم يعلم بذلك الملا (يعنى تعم الفضيحة) ، لان الانسـان يسـهل عليه بعـد ارتكاب تلك الخطيئة ان يرتكب أى ذنب » وانى الحكيم فى مكان آخـر من البردية ، يحـذر الرجـل من شباك المراة المحرومة : « ان المراة البعيـدة عن زوجها تقول لك كل يـوم : انى جميلة ! عندمـا لا يكون لديها شـهود (يعنى عنـدما تنفرد بـك تبـدى محاسنهـا وتغمـز فى اغراء) ، وهى تقف وتلقى الشباك ··· ما اشـدها خطيئـة تستحق المـوت اذا استمع اليها الانسان · » وآنى فى الحالين يخاطب الـذكور لا الاناث ، فكان سقوط الرجل مـع امراة متزوجـة كانت عقوبته اعـدام الرجل · وآنى فى الحقيقـة يخاطب العزاب ، لان برديته موجهـة الى شاب اعزب يحضه

فيهـا على الزواج ويشرح قوانين الحياة الزوجيـــة ، فكانت عقوبة الاعزب على الزنـا مع محصنة عى الاعـدام ، فما بالك بعقوبة الرجل المتزوج ! لابـد انهم كانوا يعلقونه من اذنيه وعلى العموم نص القانون فى مصر القديمة على ان الزوجـــة الزانية تفقـد حقها فى مؤخر الصـداق حين تطـلق ، وهـذا يـدل على ان توقيع عقوبة الاعـدام كان لا يمارس الا بشروط معينـة كالتلبس واصرار المجنى عليه وربما شروط اخرى ٠

وكان الاعـدام المفضل عنـد المصريين القـدماء هـو بالالقـاء الى التماسيح وليس بالقـاء الطوب ، وأذا اردتـم احيـاء هـذه العقوبة الذهبية فيمكنكم ، نظرا لعـدم وجود تماسيح فى النيل ، أن تستعيضوا عن ذلك بالقـاء الزنـاة للاسود فى السيرك القومى الـذى تنشئه الآن وزارة الثقافة واذا اردتم طريقه افعـل فى النهش والتمزيق فاحكموا عـلى الزناة بالاقامة ٢٤ ساعة متواصلة فى مسرح الحكيم او فى كافتيريا سميراميس او فى قهـوة ريش بين الادبـاء والفنانين والصحفيين وستكون النتيجـة محققة : لن يميز احـد لحمه من عظمـه ٠

انـا شخصيا لا احب التماسيح ، وافضل بكثير العقوبة البابلية فى اعـدام الزناة ، فهى طريقة رومانتيكية جـدا ، وياحبـذا لو اخـذ بهـا المشرع الحديث لانهـا ستجعـل موضوع الخيانةالزوجية الموضوع المفضل عنـد الفنانـين

التشكيليين وترفع مستوى الروايات التى تكتب حول هذا الموضوع ، فى قوانين حمورابى (نحو ٢٠٠٠ ق٠م) ، فى حالة التلبس ، التلبس فقط ، كانت العقوبة هى الاعدام غرقا ، كان يلقى بالمرأة وعشيقها معا مقيدين فى دجلة أو الفرات ، ليعبرا النهر ٠ فاذا نجوا كان معنى هذا ان الاله حكم بالبراءة ٠ واذا غرقا نزل بهما العقاب المنصوص عليه فى القانون ٠ ولم تكن هناك الا ثغرات قليلة فى هذا القانون ! مثلا الابرياء الذين لا يجيدون السباحة ٠ وهو لم يحسب أيضا حساب نجاة المراة مثلا وغرق الرجل او العكس ، ربما كان المفهوم ضمنا هو ادانه الغريق بالزنا مع مجهول ، يعرفه الاله ولا يعرفه الناس . وفى هذه الحالة تستريح ضمائر البشر والآلهة ، ويعود كل الى المدينة ليبحث عن خيانة زوجية جديدة ٠ فلا شك ان هذه كانت تسلية يومية جميله ، وهى أرقى بكثير من مباريات كرة القدم ، وهى لعبة جاءكم بها الاستعمار البريطانى ، على الاقل هذه تسلية عربية ، وطبعا فى بابل القديمة كان ينبغى على كل دون جوان وكل خائنة ، اذا ارادا ان يفلتا من الموت ، ان يكونا من ابطال السباحة ، ولا سيما سباحة المسافات الطويلة ٠ ابو هيف مثلا وحنفى محمود ونبيل الشاذلى كانوا يستطيعون ان يفعلوا مابدا لهم فى نينوى أو حتى فى منفيس ثم يخرجوا السنتهم للقاضى

وللعسس . فمن عبر المانش او اونتاريو او لوجانو سينظر دائما فى ازدراء الى المسافة من ميت رهينة الى البدرشين . المؤكد ان احياء هذا القانون سيشجع الرياضة بينكم ، فاذا لم يقض على الخيانة الزوجية عندكم فهو لا شك سيجعل منكم ابطال العالم فى سباحة المسافات .

المهم انه حتى فى بابل تساوت العقوبة على الزنا ، ولكن للاسف بعد نحو ١٢٠٠ سنة من حمورابى ضاعت الرومانتيكية من بين النهرين أو « نهرينا » كما كانوا يسمونها ، ففى الدولة الاشورية صاروا فى العراق وسوريا يجدعون انف الزوجة الزانية ويخصون عشيقها ويقطعون آذان الوسطاء فى الخيانات الزوجية . وحيث يرى الدم يطير الخيال .

اما الزوج الخائن فى بابل القديمة فلم يكن نصيبه الاعدام . ومن هذا ترون أن مصر القديمة كانت اقرب لفكرة المساواة من بابل القديمة . غير ان قوانين بابل القديمة كانت اكثر عصرية . فعقوبة الزوج الخائن فيها كانت مدنية لا جنائية . كان عليه ان يدفع لزوجته تعويضا ماليا عن خيانته اذا ارادت ، وهى طريقة عصرية لطيفة يمارسها كثير من الازواج فى اوروبا دون حاجة الى قوانين تنظمها ، واعتقد انها تمارس ايضا فى مصر الحديثة . فالزوج الاوروبى كلما اراد أن يخون زوجته غمرها

بالهـدايا : بالمجوهرات ، بالملابس ، بالسيارات ، بالفسح وكلما زادت الهـدايا بعـد الزواج كان ذلك علامة سيئة • على كل حـال هـذا هـو المقابل العصرى للتعويض البابلى • امـا فى مصر القديمة فالـذى كان يأخـذ التعويض هو التمساح •• لا الزوجـة •

وحتى فى بابل كانت المرأة شريكة للزوج لا أمة لـه • وقـد بلغ من اهتمام حمورابى بحماية الاسرة ان قوانينـه فيهـا ٦٤ مـادة لتنظيم الاسرة من ٢٥٢ مـادة ، اى ربـع قوانين الـدولة • طبعـا الـدولة ايامهـا لم تكن معقـدة كما هى اليوم ••• على كل حـال حمورابى اعتبر اساس الاسرة هـو « الزواج الاول » ، اى ان كل مـا بعـده فشوش • طبعا التسرى كان جائزا ، ولكن الزوج كان من حقـه ان «يتزوج» شرعـا للمرة الثانية مع الاحتفاظ بزوجته الاولى فى حـالة واحـدة فقط ، وهى عقم الزوجـة ، وحتى فى هـذه الحالة اشترط حمورابى ان تغسل الزوجـة الثانية قـدمى الزوجـة الاولى رمزا لانهـا زوجـة سكوندو ، وكان لا يجوز لرجل ان يحتفظ بزوجتين فى وقت واحـد الا بموافقة المحكمة •

امـا الطلاق لسوء السلوك فكان ممكنـا للزوج والزوجة على قـدم المساواة على طريقتكم الشفوية اذا لـم يكـن هنـاك التزامات مالية ، امـا اذا أرادت الزوجـة ان تسترد مهرها ، فهى التى كانت تقـدم المهر ، وان يسمح لهـا بالزواج

مرة ثانية . فكان يتحتم عليها الحصول على موافقة المحكمة فاذا رمى الزوج على زوجته يمين الطلاق كان مهرها من حقها وتحتم عليه الانفاق على الاطفال • قوانين عصرية اخذنا بها نحن فى بلادنا بعد ٤٠٠٠ سنة ، باستثناء حكاية الطلاق الشفوى هذه • فنحن نفضل التهاتر فى المحاكم لانه مسل للجيران والمعارف وقراء الصحف ، ونقدم مسرحياتنا الزوجية بالمجان للمتفرجين • على كل حال هذا عندنا افضل من ان يؤلف كل متفرج مسرحية عنا وينسبها لنا ، وهى غالبا ما تكون مسرحيات رديئة • ثم اننا وجدنا ان العروض الخاصة أمام الحموات والاخوال والاعمام فقط تخلط الشخصيات فتجعل من البطل وغدا ومن الوغد بطلا ، وكثيرا ما تحول التراجيديا الى كوميديا والكوميديا الى تراجيديا ••• واكثر من هذا فهى تضيع الحقوق •

والحقيقة انه لم يستوقفنى قانون من قوانين حمورابى مثل القانون الذى يبيح للزوج رهن زوجته واولاده لمدة اقصاها ثلاث سنوات بموافقة المحكمة لضمان الدين • هذا كان حقا قمة العصر الذهبى • ولكن للاسف بعد الف وخمسمائة سنة من حمورابى فسدت اخلاق البابليين فأطالوا مدة الرهن وتحول رهن الزوجات والاولاد الى نوع متخصص من تجارة الرقيق الابيض والاسمر • ولولا حماقة

هؤلاء الاسلاف لامكننى ان اقترض على مدام شـــمبوليون مبلغا كبيرا من بنك الكريدى ليونيه واقوم برحلة بحرية جميلة حول العالم قبل ان تـدركنى الوفاة ٠

والآن يا سيدى الرئيس ، والآن يا أصدقائى الاعزاء ، استودعكم اللـه لا عود الى قبرى واكفانى الذهبية واستأنف احـلامى الذهبية عن بـلادكم الذهبية التى قضيت كل عمرى ابحث فى أحوالهـا الـذهبية وتاريخهـا الـذهبى وافـك فى نقوشها الذهبية : لا تقولوا وداعـا ، بـل قولوا الى اللقاء ٠

وهكـذا تركنـا الخواجة شمبوليون فجأة بهذه النغمـة الحزينة ، وشيعه صانع الاقنعـة بنظرة ساهمة ثـم نهض وانصرف ، وقـد نسى حتى ان يقول : « رفعت الجلسة » ٠٠ فعرفنـا ان الجلسة لا تزال مستمرة عن الحضارات القديمة ٠

× المحاورة السادسة ×

افروديت الذهبيـــة

قال صانع الاقنعة لحاجب الجلسة ، وكان يـدلله باسم الشمعدان المنطفىء لكثرة مـا احرق من شموع فى حياته :

ـ انظر يا شمعدان من ذا الـذى يطرق الباب •

قال الشمعدان المنطفىء فى ادب جم :

ـ انه يا سيدى ، الخواجة روسوفتسيف •

صانع الاقنعة : سله لمـاذا جـاء •

الشمعدان المنطفىء : انـــه يقول انـه سمع اسمه يتردد كثيرا فى الجلسة المـاضية فحسب انكم بحاجة اليـــه •

صانع الاقنعة : ولكننـا لم نـدعه •• اطلب منـه ان ينصرف •

الشمعدان المنطفىء : انـــه يصر على الدخول يا سيدى ، ويقول اننـا شتمناه ومن حقــه ان يـدافع عن نفسه . ثـم انـــه يقول انـــه لم يحاضر ابـدا فى العـلم منـذ أن مات فى

١٩٥٠ أو ١٩٥١ ..فاذا رفضتم ادخاله فهو يطالبكم بتعويض لانـه كأى استاذ جامعى عنـده شهوة الكلام وانتم حرمتموه منها • وهو قـد تخلى •ن تابوته من اجلكم وضيع اكفانه فى الطريق الينا •

صانع الاقنعة : انـا لا ارى خطرا من دعـوة الخبـراء الاجانب الاموات ، روستوفتسيف بشهادة الجميع اكبر حجة فى العـالم القديم ، هل توافقون على دخوله ؟

اصـوات : لا مانع • لا مانع •

صانع الاقنعة : تفضل يا خواجه رستوف ••• مـع السلامة يا مسيو شمبوليون • سلم على بونابرت •

روستوفتسيف : فى خـدمتكم • اى شىء عن مصر القـديمة • بابل ، أشور • اليونـان •الرومان •

صانع الاقنعة : لا • مصر القديمة فرغنا منهـا • تكلم عن اليونـان والرومـان •

روستوفتسيف : سيداتى ، سادتى •

علىالزيبق الجوكي الشهير بالزنبرك : قبل ان يبـدأ الخواجة عنـدى نقطة نظـام •

صانع الاقنعة : ماذا تريد ؟

علىالزيبق الجوكى : منـذ ان نشرت محاضر جلساتنا السابقة وكل الناس تعتقد انى الايديولوجى الفهلوى ، بينما اسمى عندكم هـو على الزيبق الجوكى الشهير بالزنبرك •

وهـــذا يسبب لى مضايقات شـديدة فى كل مكان • انـــا اطلب نشر تصحيح فى الاهرام • او تغيير هـذا القناع الردىء الـذى صنعه لى المعلم العاشر •

صانع الاقنعة : ما قولك يا معـلم يا عاشر •

المعلم العاشر : الناس على حق فى هـذا الالتبـاس لان صفة الايديولوجية الفهلوية أوضح فيه منها فى زميله ، ولكن هذا لمجـرد أنه اكثر منه جلبة لا لانه اكثـر فهلوية • هـو مثلا يستطيع تنظير اى رغبـة او مصلحة او سـياسة أو موقف او عمل او فشل او نجاح ويربطه بحتمية الحـل الاشتراكى وبقوانين الجـدلية المجيدة الملتحمة مع الواقـع الجزئى المترابط مع الواقع الكلى فى اطـار من الوعى التاريخى الصاعد ، وكذلك بالتطبيقات المرحلية الفهلوية للاشتراكيـة العربية المجيدة •

على الزيبق الجوكى : انـا احتج • هـذه لغـة ابن سير كوف لا لغتى •

المعلم العاشر : لا • انت مخطىء • لغـة ابن سيركوف هـى : ألاستغلاق الاستيطانى الحاصل من تداخـل الـذات والموضوع فى مقولات هوسرل وبراديبيق الانحرافية اللامتفائلة بمصير الجنس البشرى • هـل تريد المزيـد ؟

صانع الاقنعة : كفى • ولـماذا سميته اذن بعلى الزيبق الجوكى ؟

المعلم العاشر : لانــه الوحيــد بين كتاب مصر الــذى يعرف جوادا أصيلا اذا راى جوادا أصيلا ثم يحـاول ركوبه لا مجرد التمتع بالنظر اليــه ، وهو الوحيد الــذى درب نفسه بنفسه على لعبــة السرك التى يركب فيها الجوكى على أربعة جياد فى وقت واحــد ويضرب بالانس على ظهورها الاربعه ٠ وهو يفعل مثل هــذا فى السباق ، والجميل فى الموضوع ان كل جواد منها يعرف ان على الزيبق جوكى للجياد الاخرى أيضــا ، فيفكر لحظــة فى أن يطرحه أرضا ويعضه ويرفسه ، ولكنــه لا يلبث ان يغمره السرور لهــذه اللعبــة اللطيفــــة فيحمله مبتهجــا ويلعقه ٠ لهــذا سميته بالجوكى ٠ امـــا الايديولوجية الفهلوية فصفة يشاركه فيها الكثيرون ٠

صانع الاقنعة : ولمــاذا على الزيبق ؟

المعلم العاشر : لان على الزيبق هــو زعيم جماعــــة الشطار الظرفاء فى تاريخ الادب العربى ، وعلى الزيبق الجوكى باتفاق الكل سمباتيك الى اقصى حــد ٠ وهو مثل سميه على الزيبق يعرف كيف يخرج من كل مازق ، انــا شخصــــيا استلطفه ٠ ولو كنت جوادا لاعطيته ظهرى ليعتليه ٠ لكنــــه للاسف لا يرى فى الا حمارا كبيرا ، ويستشهد على ذلــــك بعنــادى الشديد ويقول : يــا عبيط انت تتصــــور الكون بالمطلقات على طريقة نيوتن ٠ كل شئ عنــدك يسير بالتصور الذاتى ، بينما الحقيقة أن كل شئ يسير بالتناقض والاضداد والمراحل الجدلية ٠ فاذا افترضنا ان الحياة سباق ٠ والحياة

سباق فعلا ، فالسباق مراحل ، والمهم فى الحيـــاة ان تكون جوادا كريما • فاذا لم تستطع ان تكون جوادا فكن جوكيـا على اقـل تقدير • والمهم فى الحياة ان يتفاعل كل جوكى مع جواده حتى يقطع بـه المرحلة • والتفاعل سهل • اســهل مـا يكون • اعط الجواد قطعة من السكر يتفاعل معك ويقهقة ضاحكا ويجرى بك الى آخر الشوط ، او الى آخر المرحلة • المهـم ان يجرى بك ولو مرحلة واحـدة • فكل مرحلة تقطع توضح الرؤية لانهـا تقربك من الهـدف • امـــا انت فلن تـدخل سباقا ابـدا لانك تصر على البرسيم ، والبرســيم يجعل اذنيك طويلتين ، ولطول اذنيك لا يرى الناس انــك جواد مع انك بالفعل جواد ، واعتقـد ان كثرة اكل البرسيم قـد احـدثت فيك تغييرا عضويا فجعلتك لا تصلح لشىء الا حمل الاثقال : مرحلة متوسطة بين البغل والحمار • جـرب السكر بـدلا من البرسيم وترقب النتيجة • وكنت دائمـا اجيبه : خل نصائحك لنفسك ، فأنت اخيب جوكى فى الوجود برغم كل مـا تعطيه من السكر لكل الجياد • امـا حكـاية الزنبرك فهى مجرد تكرار لنفس المعنى الموجود فى على الزيبق : تعنى الروغان وصعوبة الاحتواء • واحـدة منهما تكفى • اذا كان قنـاعى لا يعجبه فاصنع لـه قنـاعا •

السندباد الجديد : انتم تضيعون الوقت فى المهاترات • نحن جئنـا لنناقش الرجعية والتقدمية • ارجئوا حكـاية الاقنعة وتكلموا فيما يفيد •

روستوفتسيفه : هل ابـدا يـا سيدى الرئيس ؟

صانع الاقنعة : ابـدأ • ولكن اياك ان تحـــرج عن الموضوع ، الموضوع باختصار هـو : كيف كانت المراة فى عصرها الذهبى أيام اليونان والرومان •

روستوفتسيف : هل اتكلم بصراحة ؟

صانع الاقنعة : هل انت خائف من شىء ؟

روستوفتسيف : نعم • مسز روستوفتسيف لا تـزال على قيـد الحياة • ســـتنقطع عن زيـارة قبرى اذا تكلمت بصراحـة •

صانع الاقنعة : هـذا سبب ادعى للصراحة ، لانهـا لـو كانت معك لجعلت حياتك ••• اقصد موتك • جحيما •

روستوفتسيف : هـذا كان عصر طين وقطران وليس عصرا ذهبيا • من ناحية الاخلاق ؟ عكس ما يتصور تمامـــا المسيو صباغ • تصوروا ان اكثر ملوك اليونان العظماء كانوا بقرون • الملك منيلاوس مثـلا استضاف الامير الجميـل باريس ابن ملك طروادة فهرب بزوجته هيلانة • لكن هنـاك شيئا يحيرنا نحن المؤرخين : وهو كيف يقيم اليونان حـرب طروادة المهـولة لمدة عشر سنين ليثأروا لشرف منيـلاوس ويمـوت كل هؤلاء الابطـال ، ثم يعـود منيلاوس بهيـلانة ويجلس معها على عرش اسبرطه ويعيش معهـا فى تبات ونبات وكأن شيئا لم يحـدث • طبعـا هى بكت لـــه وقالت : لا تؤاخذنى انهـا الربة افروديت ضحكت على أو على الاصـح ــ بلغتهم ــ رمت على شباكا من حـــديد فجردتنى من الارادة والفضيلة وجعلتنى امشى وراء باريس كالنائم نوما مغناطيسيا

ثم اخوه الملك الغازى اجا ممنون • عاد الى وطنه بعد عشر سنوات من الجهاد ليجد زوجته فى احضان ايجست • وقبل أن يفتح فمه ذبحته كالثور فى حمام القصر الملكى بالضبط كما فعلت ملكتكم شجرة الدر بزوجها الثانى عز الدين ايبك •• والملك تسيوس أبو الاثينيين كلهم ماتت زوجته وتزوج من فيدرا فأخذت تطارد ابنه هيبوليت حتى دفعته الى الانتحار ثم انتحرت ، وكانت دائما تردد : انها افروديت • انها الربة افروديت ••• القت على شباكا من حديد فجردتنى من الارادة والفضيلة وجعلتنى امشى وراء هيبوليت كالنائم نوما مغناطيسيا ••• وغيرهن • وغيرهن • كل النساء الزانيات فى اليونان القديمة كن يمسحن خيانتهن فى ربة الحب افروديت • تماما كما نقول نحن : الشيطان وزنى •• الوحيد الذى نجا من هذا المصير هو أوليس زوج بنيلوب • حتى البطل هكتور • لو أن زوجته اندروماك كان عندها ذرة من الفضيلة والشجاعة لانتحرت قبل ان تسبى مع ولدها بعد موته وتنام تحت سقف قاتل زوجها •

ابو الفتوح الصباح : الم نقل لكم ان كل الفسوق جاءنا من الغرب ؟

اغا طبوزادة : بالغزو الفكرى • من ايام العصر الحجرى الحديث ••• الى اليونان ••• الى الرومان ••• الى الحروب الصليبية ••• الى الفرنسيين ••• لغاية الفرنسيين • أما الانجليز والامريكان والالمان ، كل الانجلو سكسون فنحن

غزوناهم فكريا وهم لهذا ارقى شعوب الغرب بسبب تحالفهم مع الاتراك ٠

ابو الفتوح الصباح : بالضبط ٠ كل الفساد جاءنا من أوروبا ٠ بتحرير المراة ٠

روستوفتسيف : المسيو ابو الفتوخ الصباخ يقول أن كل الفساد جاءكم من أوروبا ٠ انا لا اعترف شيئا عن اوروبا بعد سقوط روما فى ٤٧٦ ميلادية ٠ ولكن المشكلة التى يبحثها علماء اوروبا الآن هى : هل انطونيوس هو الذى اغوى كليوباترا أو كليوباترا هى التى اغوت انطونيوس

ابو الفتوح الصباح : ماذا يهم ؟ الاثنان خواجات ٠

روستوفتسيف : لا يا مسيو صباخ ٠٠٠ كليوباترا عندكم جريجية أما عندنا فهى طبعا مصريه ، هى وعائلتها اليس عندكم مثل يقول : من عاشر القوم اربعين يوم ؟ البطالسة عاشروكم ٣٠٠ سنة وصاروا منكم ٠٠٠ مثلا بطليموس الثانى المعروف بفيلادلفوس (٢٨٥ ـ ٢٤٧ ق٠م) اراد ان يثبت لكم انه مثل الفراعنة تماما فتزوج اخته ارسينوى ٠٠٠ حتى كليوبترا تزوجت عن اخيها بطليموس ١٣ وكان عمره ٨ سنين ٠٠٠ عندنا ٣٠٠ سنة حاجة عظيمة . تكفى لظهور واختفاء عشر امبراطوريات ، أما عندكم فحساب الزمن بالقرون لا بالسنين ٠٠٠يوم الحكومة بسنة لكن سنة الشعب بيوم ٠٠٠ انا شخصيا افضل طريقتكم لانى مؤرخ ، والتاريخ يقوى الذاكرة ٠٠٠ كاهن انوبيس مثلا يعرف كل اسماء الشوارع فى منفيس وطيبة ويسكن فى مصر

الجديدة لمجرد أن شوارعها اسمها طوتموزبس وسيزوستريس وامازيس ، وماعليه الا ان يغمض عينه ساعة كل يوم ليتخيل ان الشقة المجاورة له تسكنها نفتيس بنت رادوبيس وزوجة ردامانتيس ... والمسيو أبو الفتوح الصباغ يسكن بجوار جنينة الحيوانات لان الشوارع هناك اسمها : ابن رضوان الطبيب ، عقبة بن نافع ، قرة بن شريك ، ابن بختيشوع الطبيب ... ويتوهم انه يعيش فعلا فى الفسطاط ، ولولا هذا لما وجد الشجاعة ليواجه القرن العشرين .

صانع الاقنعة : ما علاقة هذا الكلام بالمراة الجريبجية؟

روستوغتسيف : اقصد ان تحرير المرأة كان عندكم لا عند اليونان ... اليونان اهتموا بشىء واحد وهو تحرير الرجل ... أما المرأة اليونانية ، من الملكة الى بائعة الجندوفلى فى ميناء بيريه فكانت حالتها اسوأ ما يكون ... تصوروا مثلا ان سيدة عظيمة مثل بنيلوب زوجة البطل أوديسيوس ملك ايثاكا يقول لها ابنها تليماك وهو لا يزال دون سن البلوغ : « هيا اذهبى الى حجرتك واشتغلى بأعمالك : اشتغلى بالنول والمغزل ، وامرى وصيفاتك ان يلتفتن لعملهن ، فالكلام من شأن الرجال ، كل الرجال ، ولكنه من شأنى انا قبل الجميع : فالامر أمرى فى هذه الدار » ... هكذا قال هوميروس نحو ١٠٠٠ ق.م . (« الاوديسا » ١/٣٥٦ ـ ٣٦٠) ... وبدلا عن أن تصفع بنيلوب ولدها تليماك أو تقول : اخرس ياولد ، نراها بالفعل تكف عن الكلام وتلتفت للنول والمغزل . والذى

والمغزل ايام زمان كانا كشغل البرودرى والاوبيسون فى القرن التاسع عشر وكلعبة البريدج والهويست والكاناستا فى القرن العشرين ... اظن ان هـواية نسائكم المفضلة هى المتسكعة فى شارع قصر النيل وسليمان باشا قبل الظهر وبعـد المغرب .. على العموم كان مكان المراة فى اليونان القديمة هو البيت ، وكان لا يسمح لهـا أن تختلط بالرجال الا فى اسبرطة ... أمـا الشبان والبنات فكانوا لا يـرى بعضهم البعض الآخـر الا فى الاعياد والجنازات والمواكب بوجه عام ، ودائما وسـط جماعات وليس على انفراد ... وفى شعر ثيوقريط (ايديل ٢) وصـف لكيفية وقوع البنت فى غرام دافنيس من بعيد لبعيد فى موكب عيـد ارتميس ... وفى اوربيديس ان عـدم ملازمة المرأة بيتها يعرضها للقيل والقال (« نساء طروادة » ٦٤٢) والمشرع ليكورجوس قال (فى ليوقراط ٤٠) ان نساء اثينـا كن لا يجترئن ، عى فتح ابواب بيوتهن وقـد كان حـدثا رواه المشرع ان نساء اثينـا اجترأن غى فتح ابوابهن بعـد هزيمة خيرونا وعـودة الجيش المسحوق لبسألن عن الـزوج والاب والشقيق . هل مـات أو عـاد سالمـا ، وقـد استهجن فوكورجوس هـذه الفعلة الشنيعة لانـه « ظن انهـا لا تليق بهن ولا بمدينتهن » ... والمبـدأ العام فى اليونان القديمة كان ان المرأة لا تخرج من بيتها حتى تبلغ السن التى تجعل من يراها يسأل : أم من هـذه ؟ لا زوجة من هـذه ؟ ولا تخرج الا بصحبة مرافق أو شابيرون ذكر من اهل بيتهـا يكون موضع ثقة ، وكانت فى العادة تتبعها جاريتها ...

طبعـا جاريتها هـذه كانت اس البلاء لان الادب اليـونانى القـديم يصور الجارية دائما على انهـا الرسول بين العشيق والعشيقة ... نعلم هـذا من ستوبايوس (هيبرود) ... وفى قوانين صولون فى القرن ٦ ق.م . قانون ينص على ان المـراة حين تخرج للجنازات أو لاحتفالات الاعياد « يجوز لها ان تأخـذ معها ما لا يتجاوز ثلاث قطع من الثياب وما لا تزيد قيمته عن أوبول واحـد من الطعام والشراب » (والاوبول كان يساوى بنسـا ونصف البنس اى اقـل من قرش صاغ بالسعر الرسمى ولكن ربما كانت قيمته ريالا بالقـــبـــوة الشرائيه للحقيقة) ... كذلك نص القانون على ان المرأة لا يجوز لهـا أن تخرج ليـلا الا فى عربة يضيئها مصباح ... وقد ظلت هذه اللوائح معمولا بهـا الى زمن بلوتارك فى القرن الاول فاذا أراد قومنذان بوليس الآداب عندكم ان يأخـذ بمبـدأ الوقاية خير من العلاج فانى انصحه بقـراءة قوانين صولون وليكورجوس واستصدار قانون يحتم اضاءة كشافات داخل كل سيارة تمر ليـلا فى شارع الهرم او فى طريق العادى .. كل هذا يـدل على وجود ازمـة ثقـة شديدة بين رجـال اليونـان القديمة ونسائها ... وغير معروف اذا كانت القطع الثلاث الواردة فى قوانين صولون معنـاها ثلاثه غيارات أم مجرد ثلاث قطع من الثياب مثل الكومبينيزون والفســتان والشال اوالمـلاءة اللف ، وهـذا التفسير الاخير هـو الارجح لان تحـديد المـاكولات والمشروبات بما لا يتجاوز ريـــالا يتضمن ان نساء اليونـان كان غير مسموح لهن بحمل الفلوس

فى شنط اليد او فى غير شنط اليد ، والا فالتشريع يكون عبثا لان الفلوس يمكن ان تشترى تموين شهر او سنة ٠٠٠ ويبدو ان الفكرة العامة كانت ارغام النساء تحت وطأة الجوع ان يعدن للنوم فى بيوتهن بدلا من النوم فى القرافة أو فى الحدائق العامة ٠

أبو الفتوح الصباح (يتحمس) : ايها الرجعيون ! اهتفوا معى : تحيا ذكرى صولون !

اغا طبوزادة والخشداش ايواظ : تحيا ذكرى صولون !

مجاهد بن الشماخ (فى امتعاض) : ما هذه السذاجة ؟ هذه مؤامرة صليبية ٠٠٠ تذكروا الروم ! تذكروا بيزنطة ! هؤلاء هم اعداؤنا التقليديون ٠ قولوا معى : فليسقط صولون واهل صولون ٠

صانع الاقنعة : النظام ٠٠٠ النظام ٠

روستوفتسيف : ماذا فعلت ؟ هل اخطات ؟ انا ارد على سؤالكم : هل كانت المراة اليونانية متحررة ام لا ٠

صانع الاقنعة : مجاهد بن الشماخ غاضب لانك صورت المراة اليونانية فى صورة جميله : خاضعة تماما لسلطان الرجل ٠

روستوفتسيف : نعم ٠٠٠ هى كانت كذلك وكانت النساء تاكل على مائدة مستقلة بعيدا عن الرجال فى الحفلات والمادب ٠٠٠ اعتقد ان هذا التقليد لا يزال موجودا بينكم فى الريف المصرى ٠٠٠ وقد بلغنى ان كل غلام

من الفلاحين عندكم ينهـر امـه ويقول لها اف كما كان تليماك ينهـر بنيلوب ٠٠٠ ومع ذلك اذا اردتـم ان اقـلب لكـم الحقائق ، فهـذا سهل ٠٠٠ نحن العلماء الخواجات مدربـون على ذلك ٠٠٠ مثلا عندما تكون هنـاك ازمة سياسية بيننا وبين المصريين نصـدر « أبحاثا » علمية نثبت فيهـا ان اصل الحضارة كان فى سومر وليس فى مصر ٠٠٠ واذا اختلفنا مع العراق اثبتنـا انـه كان فى مصر وليس فى سومر ، واذا اختلفنـا مع كل العرب نقلنـا اصل الحضارة الى الصين او الهنـد بحسب الحالة ٠

صانع الاقنعـة : لا ٠٠٠ لا ٠٠٠ نحن نريـــد ان نستنير ٠ استمر يـا خواجه ٠

روستوفتسيف : على كل حال : استعباد المــراة فى اليـونان القديمة يثبت وجهـة نظركم ٠٠ بثبت ان المـراة الاوروبية منـذ فجر التاريخ كانت منحرفة ويجب ان تعامل بالعصـا ٠٠٠ مثلا أوربيديس فى مسرحية « اندروماك » البيت ٩٢٥ ينصـح الرجال العقلاء ان يمنعوا نســاءهم عن استقبال النســاء الاخريات لانهن « معلمات لكل الشرور »٠٠ ومن كوميديـا أرسطـوفانيس « أعيــاد ثيسمافـوريا » (البيت ٤١٤) نعرف ان رجال اليونان كانوا يســجنون نساءهم فى حرملك يسمونه بلغتهم « جونايكونيتيس » ، أى « حجرة النساء » ويغلقون الحرملك بترباس محـكم من الخارج ، ولا يكتفون بهـذا بـل يضعون كلب حراسة مولوسى على عتبـة الدار ٠٠٠ لماذا كانوا لا ياتمنون نساءهم ؟ لانهن

كن نساء ملعبات ··· ناقصات عقل ودين ··· بالضبط كما تقولون انتم عن نسائكم اذا أردتم اعتقالهن أو تحديد اقامتهن ··· ومنذ ٨٠٠ ق٠م ٠ كان الشاعر هسيود يقول لليونان فى « الاعمال والايام » (البيت ٤٧٠) أن باندورا ، وهى حواء اليونان ، كانت مصدر كل الشرور والاوبئة ، ويندد فى البيت ٣٧٣ بالنساء لانهن يمشين بطريقة تحريك الاليتين بالتبادل ، أو ما تسمونه هنا طريقة (هز ياوز) لكى يلخبطن عقول الرجال (راجعوا أيضا الابيات ٣١٩ و ٧٠١ وما يليه) ··· حتى بريكليس العظيم رئيس جمهورية أثينا فى القرن الخامس ق٠م ٠ كان يقول : « خير النساء اقلهن ذكرا بالخير والشر فى محضر الرجال » ··· ورد هذا القول المأثور فى ثيوسيديد ٢/٤٥ ··· وفى « الثسمافوريا » لارسطوفانيس أيضا (البيت ٧٩٧) ان واجب النساء المتزوجات هو ان يتوارين د.. ـ البيت حتى لا يراهن المارة ت الشارع من النوافذ ··· ولكن ارسطوفانيس لم يصل طبعا الى حد تحريم النظر من وراء الشيش ··· وقد حل اجدادكم فى العصر التركى المملوكى هذه المشكلة باختراع (المشربية) فاذا أردتم احياء هذا التقليد فعندنا فى امريكا نوع من الزجاج من وقف وراءه رأى دون ان يرى ·· طبعا كانت هناك استثناءات قليلة لهذا الضغط والكردنه على النساء ··· فهيرودوت يذكر نحو ٥٠٠ ق٠م انه فى اقليم ليديا ، حيث أقام يونان الاناضول ، لم يعترض الناس على ان تحصل البنات على ثيابهن بالدعارة (٢٩٣)

.. ولا تزال هناك رواسب من هذا التقليد باقية الى اليوم فى المراة العصرية ، ولكن المراة العصرية اكثر دردحة من جدتها الليدية ، لانها تعلمت كيف تأخذ ولا تعطى وجعلت من السفلقة فنا جميلا ... فبعض بنات اليوم بمجرد غمزة او ابتسامة او على اكثر تقدير مجرد قبله يستحردن الرجل فى شنطة يد أو زوج من الاحذية وربما فى فستان أو ساعة حريمى وهن فى الطريق الى السينما ... كذلك كانت فساتين نساء اسبرطة مشقوقة فى الجوانب من تحت حتى الفخذين ، وهى موضة متحررة كانت تثير استهجان كل اليونان .

والحقيقة ان الحضارة اليونانية كانت العصر الذهبى لا لست البيت ولكن للغانية او « الهتيرا » كما كانوا يسمونها ، ولشىء آخر اخجل ان اسميه ولكنكم تعرفونه جيدا من شعر ابى نواس ... فأفلاطون فى « القوانين » يقول : « لدينا غوان لمتعتنا ومحظيات لخدمتنا الشخصية اليومية وزوجات ليلدن اطفالنا ويدبرن منازلنا بأمانه » ... وفى قانون ورد ذكره فى ديموستين الخطيب (« فى الارستقراطية » ٥٥) نجد ان النص يشير الى الام والزوجة والاخت والبنت والمحظية فى عبارة واحدة ... وفى هوميروس نجد أن امتلاك محظية او اكثر كان أمرا اشيع ما يكون فالمحظية اذن كان لها وضع رسمى ... اما الزوجة المسكينة فقد نصت القوانين والعرف والفلسفة واللاهوت عند اليونان ان مهمتها كانت محصورة فى شىء واحد وهو : « انجاب

ذريـة شرعية » كمـا فى لوسيان (« تيمون » ١٧) وكليمنت الاسكندرى (« ستروماته » ٢/٢١٤) وبلوتارك (« الموازنة بين ليكورجوس ونومـا » ٤) وزينوفون (« المذكـرات » ٢/٢/٣) وديموستين (« فورميو » ٣٠) وغيرهم ... وفى كتاب ارسطو عن « الدولة » (١٢٦٠/٨/٢) ان هومبروس ذكر ان الرجل كان يشترى زوجته من والديها بما كان يدفعه من « هدينا » أى هدايا يقدمها للعروس . وكانت غالبا من المـــاشية ... ولكننـا نعلم ايضـــا من هوميروس فى « الاوديسـا » (١/٢٧٧ و ٢/١٩٦) وفى « الاليـاذة » (٦/٣٩٥ و ٩/١٤٤ وغير ذلك) أن الزوج بعد أن يتسلم زوجته كانت الزوجة تتلقى من ذويها دوطة لزواجها ونعـلم من « الاوديسا » ٢/١٣٢ انه فى حـالة الانفصال يسترد ابى المـرأة الدوطـة ، ومن « الاوديسـا » ٤/٥٩٥ أن المـرأة تفقد حقهـا فى الدوطـة فى حالة الخيـانة الزوجية ..

صانع الاقنعة : ولمـاذا كل هـذه الارقام ؟ تكلم كمـا يتكلم النـاس .

روستوفتسيف : مستحيل ... هكذا نتكلـــم فى محاضراتنا ... والاستاذ الـذى لا يذكر مراجعه يفصـل فورا منعـا للتلفيق ، والا جلس اى استاذ فى اقرب بار وبنى حضارة بأكملهـا على الورق من رغاوى البيرة .

صانع الاقنعة : استمر وعنعن كما تشاء .

روستوفتسيف : على العموم حكاية « الذرية الشرعية » هـذه كانت الركن الوحيـد للزوجية فى اليونان القـديمة .

وافلاطون هـو الوحيد الـذى ادخل عليها بعض التحسينات فى « القوانين » (٤/٧٢١ و ٦/٧٧٤) حيث قال ان الزواج هـو أداء واجب عام : فواجب المواطن ان يترك وراءه ذريـة تعبـد الالهة وتخـدم الدولة ، وكان افلاطون يطالب بتطبيق عقوبات على العزاب كالغرامة وفقدان الحقوق المـدنية ٠ وفى بلورتارك (« ليكورجوس » ١٥) ان عزاب اسبرطة كانـوا يفقـدون بعض حقوقهم المـدنية كالاشتراك فى المباريات ، وكانوا يجمعون فى السوق ويؤمرون بأن يغنوا اغانى يسخرون فيها من انفسهم ٠٠٠ يعنى كل واحـد فيهم يترنم بقـوله مثلا : انا حمار كبير ٠٠٠ وهو اسلوب فى النقـد الـذاتى اجمل بكثير من اسلوب الروس فى عهـد ستالين ومن اسـلوب الانجليز فى الكنيسة الميثوديست حيث يقف المـذنب أو المـذنبـة وهو يرتعش وسـط جمهور مكفهر الوجوه من المصلين ويعترف بأعلى صوته : أنـا قضيت الليلة الماضية فى بيـت مسز فـلان ، او أنا سرقت دجاجتين واوزة من حقـل جارى فلان ، فليسامحنى اللـه ٠٠٠ ولكن قوم اسبرطه كانوا قوما غريبى الاطوار ارجو الا يتشبه بهم أحـد فقـد كانوا يعشقون كمال الاجسام وصحة الابـدان فى سـبيل الحـرب والرياضة لدرجـة أن بلوتارك روى أن الزوج الاسبرطى كان من المـألوف ان يعير زوجته مؤقتـا لرجل آخر اقوى منـه واصح بـدنا لينجب لـه اطفالا اصحاء اقوياء وسيمين ، ويشبه بلوتارك الزواج الاسبرطى بتهجين الخيول بهـدف تحسين النسـل ٠٠ وقـد احيـا الالمـان هـذه العادة الاسبرطية الغريبة ايـام النازية ، وكان جزءا من واجبات الشباب الهتلرى والشابات

الهتلريات ان يقدموا للرايخ الثالثنماذج معتمدة من الجنس الآرى • قامة فارعة مثل قامة جويبلز وقوام ممشوق مثل قوام جورنج وشعر أصفر بلوند مثل شعر هتلر •• وعيون زرقاء وقسوة جرمانية مثل ايرما جرايس التى كانت تصنع الاباجورات من جلد الاسرى •

صانع الاقنعة: دعنا من موضوع النسل ••• هذه مشكلة اخرى سنبحثها عند مناقشة حكاية تحديد النسل ••• تكلم عن المراة فقط •

روستوفتسيف : انا فرغت تقريبا ••• لم يبق الا ان اقول انه نظرا لعدم اختلاط الجنسين فقد كان زواج اليونان يتم عن طريق الخاطبة ، ولكن وظيفة الخاطبة كثيرا ما اختلطت بوظيفة اخرى سيئة السمعة ••• ولم نسمع احتجاجا على هذا النظام الا فى افلاطون (« القوانين » ٦/٧٧١) الذى طالب باختلاط الخطيبين قبل الزواج حتى ينجو الزوجان من الخداع ••• منهذا ترون آن الزوجة فى اليونان القديمة كانت حياتها هامشية ومحاطة بجدران كثيفة ، ولكن هذا لم يمنع ان تكون الخيانة الزوجية موضوعا شائعا فى أدب اليونان شيوعه فى حياة اليونان •• ولكن اليونان القديمة كانت فى الوقت نفسه فردوسا للغوانى او « الهتيرات » اللواتى مجدهن أدب اليونان شعرا ونثرا فى كل العصور ويبقى لنا من أسمائهن اكثر مما بقى من اسماء الزوجات ••• وكان عصرهن الذهبى فى القرن الرابع ق•م • فاشتهرت منهن فرينا التى كانت موديلا للمثال براكساتيليس

فى تماثيله لافروديت ، واشتهرت الغانية لاييس عشيقة المفكر ارستيب وجلوكا ملهمة الكاتب الكوميدى مناندر وليونتيون عشيقة الفيلسوف ابيقور ٠ وكان لاكثر كبار رجال الدولة غوان شهيرات مثل اسبازيا صاحبة بريكليس وثارجيليا عشيقة ملك الفرس اثناء الحروب الفارسية ، وتاييس عشيقة الاسكندر الاكبر ، وكانت غانية اثينية جميلة تنازل عنها الاسكندر لقائده بطليموس الذى تزوجها واجلسها معه على عرش مصر واسس بها اسرة البطالسة ، وكانت لهـا صديقة غانيه اسمها لاميا حكمت اثينا مع عشيقها الجنرال ديمتريوس بوليوركتيس واقام لها الاثينيون معبدا باسم افروديت لاميا ٠ والاصل فى هؤلاء الغوانى انهن كن مجرد نساء عموميات لهن تسعيرة فى الدولة الاثينية (١ أوبول فى ميناء بيريه وفى حى الفخارين) ، أما اللوكس نكن يصلن الى ٦ اوبول ، وكانت الدولة الاثينية تشرف بدقة على هذه العمليات بسبب الضرائب وانتهت بتاميم الهتيرات فى ميناء بيريه وفى حى الفخارين ٠ وكان جزء لا بأس به من ايرادات الدولة يحصل بهذهالطريقة الغريبة ٠ ولكى ثبت تاريخيا ان ايرادات الضرائب من القطاع الخاص (اللوكس) كان أكبر من ايراداتها من القطاع العام ٠ المهم أن البنات الهتيرات ظهرت بينهن طبقة ذكية مثقفة نحو ٣٠٠ ق٠م ٠ ايام الفيلسوف ابيقور ، فكن ينتظمن فى فصول لدراسة الفلسفة ويتجادلن فى الماهية والمقولات والمفهوم والماصدق والاسطقسات ويقال ان ليونتيون صاحبة ابيقور تركت

رسـالة لا بأس بهـا فى الفلسـفة · نـوع من الجيشـا اليونانية لتسلية العقل والجسد فى وقت واحد · امـا الطامحات منهن فوصلن الى ما وصلت اليـه مدام دى ريكاميية ومدام دى مانتنون ومدام دى مونتسبان ومدام دى بارى ومدام دى بومبادور ايـام البوربون فى فرنسا قبل الثورة الفرنسية · امـا البروليتاريات السناكيح منهن فكان اقصى منى الواحـدة ان تصبح محظية لرجل واحـد وتترقى الى رتبه « بالاكا » أى « محظية » بـدلا من كونها مرفقـا عاما ، وكان ذلك يتم مقابل ٢٠ الى ٤٠ قطعه من الفضـة ، وكان الرجل يستطيع ان يبيع محظيته فى اى وقت يشاء · نـوع من الرقيق الابيض · هـذه كانت احلام الحرية بالنسـبة لطبقة الهتيرا الغلبانة : اقصى منى الواحـدة ان تصبح امـة أو جارية ! لقـد كان عصرا ذهبيا حقـا ، ولكن للرجـال فقـط ·

على الزيبق الجوكى الشهير بالزنبرك : انظروا اليه · انظروا اليـه ··· انظروا اليهم · ابو الفتوح الصـباح ومجـاهد بن الشماخ وابو سنة دهب لولى وعز الدين ايدمز المحيوى · انهم يتلمظون سيدى الرئيس : امنعهم من التلمظ·

مجاهد بن الشماخ : لا تصدق كلمة واحـدة مما يقول · هـذه دعاية مبشرين ·

ابو سنة دهب لولى : هـذا فوق طاقة البشر · لـم اعـد احتمل ··· انا اطـالب بتدريس اليونانيات فى كل كليات الجامعة ·

صانع الاقنعة : ممنــوع التلمظ ٠

المــاركسية المسخسخة : اذا كان اليونان على هــذه الدرجة من الانحطاط ، فلماذا يهوسوننا اذن بالادب اليونانى والفكر اليونانى والحرية اليونانية والحضارة اليونانيه ٠ ولمــاذا يقولون ان اليونـان اخترعوا الحب الافلاطونى ٠ انــا لمـا كنت بنت ١٧ احببت ابن الجيران من وراء شـــــيش البلكونة وضبطنى أبى اسوى له شعرى فى الشـــباك لارد تحيته فضربنى علقــة سخنة ، وسمعت أخى الكبير يدافـع عنى ويقول لابى انــه مجرد حب افلاطونى فسكت عنى ٠ ولمــا عرفت ان افلاطون يونـانى احببت اليونان بسبب افلاطون خيبت امـلى يــا شيخ ٠

روستوفتسيف : لا تعولى على حكاية الحب الافلاطونى هــذه يا سيدتى ، لانــه خاص بالرجال فقط ٠ أصل الحكاية ان افلاطون كتب كتــابا اسمه « النــدوة » فى صورة محاورات بين جماعة من صـفوة المثقفين فى اثينا تجرى فى بيت الشاعر اجاثون ، وهــو شاعر سيىء السمعة جـدا فى الكــلام عن الرجال ، وعلى لسان باوسانياس يقول افلاطون أنــه يجب التفرقه بين الحب المقدس القائم على الانســــجام الروحى والتجاذب الفكرى ، وبين الحب المبتــذل القائم على ارضـاء الجسد ٠ وعنــده ان الحب المقــدس لا يمكن ان يقــوم الا بين الرجل والرجل ٠ امــا الحب بين الرجـــــل والمراة فمن اختصاص الربة افروديت بانديموس ، اى ربة الحب المهيمنة على كل النـاس ٠ وامــا افروديت اورانيا ، أو ربــة الحــب

السماوية فلا شأن لهـا بالحب الـذى يقوم بين الرجـــل والمراة • فحب الرجل للنساء خارج من حيث المبـدأ عن نطاق الحب الافلاطونى الذى لا يعـرف نشوته الا « الاورانيون » ومعناها حرفيـا « السماويون » اى أصحاب الحب السماوى او العشق الالهى • ومنذ ذلك التاريخ أصبح من يقول عن رجل: « هـذا أورانى » يسبه ويتهمه بأشياء فظيعة لا استطيع ان اتفوه بهـا • وقـد كانت الاورانية عنـد اليونان شائعـة كالاكل والشرب ، والغريب انهـا كانت عنـدهم لا تتعـارض مع البطولة • ففى « الياذة » هوميروس نجـد الاورانية بين البطـــل اخيل والبطل باتروكل وبين البطـــل باتروكل والبطـل بلاتون • وفى أرسطوفانيس ، على عهدة افلاطون فى « الندوة » ، ان الاورانيين هم اقـدر الناس على الاشتغال بالسياسة • والمشرع الشهير صولون كان ينظر للاورانية نظرة طبقية محض فأجازها فى قوانينه بين المواطنين الاحرار وحرمهـا بين الاحرار والعبيد وليؤكد هـذا المعنى حرم تـداول الاموال فى كل علاقة أورانية ، والفكرة العامة عنـد اليونان ، ولا سيما فى اسبرطه ، ان الحب بين الرجال كان امـــارة الارستقراطية أو الـدم الـدورى الازرق ، والدوريون هـم سكان بـلاد الاغريق قبل نزول اليونان بهـا • امـا الحب المـالوف فهـو للدهماء وفى مجلس العمـوم البريطانى الآن تجمع أورانى لاحياء قوانين صولون ، مما يـدل على عصريتها المتناهية •ولكن هـذا كله لـم يمنع ابطال اليونان وملوكهم وأمراءهم ومواطنيهم ان يكونوا عاديين فى علاقاتهم مع النسـاء

فيتزوجوا وينسلوا ويدافعوا عن نسائهم كما فعل منيلاوس فى حرب طروادة ، ولم يمنع أخيل مثلا من أن يغضب ويجازف بمستقبل حرب طروادة لانهم حرموه من الاسيرة بريسيس اليونانى مجد جمال الرجل بتماثيل هرميز وابولو بلفدير اكثر مما مجد جمال المراة بتماثيل افروديت او ديميتر • انسى حكاية الحب الافلاطونى يا سيدتى فهى خطأ شائع • حضارة اليونان كانت حضارة الرجل لا حضارة المراة • والفرق بين اليونان والعرب هو ان اليونان مجدوا الاورانية بينما العرب نددوا بالنواسية •

وهنا شهق ابو سنة دهب لولى شهقة عظيمة واخذ يتمتم : « هذا فوق مستوى البشر • هذا لا يطاق » • فالتفتت اليه كل الانظار مستطلعة • اما صانع الاقنعة فاخذ يهز راسه مستنكرا وهو يلعن بصوت خفيض • هذا ما جرته علينا الرجعية وترهات ابو الفتوح الصباح عن العصر الذهبى والمراة الذهبية • ان نستمع الى كل هذا الكلام الفارغ • بلا حياء • بلا حياء • وباسم العلم • ثم التفت الى الخواجة روستوفتسيف وقال :

ـ انت يا خواجة لم تذكر كلمة واحدة عن حالة المراة فى روما القديمة •

فاجاب الخواجة روستوفتسيف بقوله :

ـ لا تكن عجولا • كل شىء مرهون باوانه • موعدنا فى الجلسة القادمة •

ختامهـا مسـك

قال **صانع الاقنعة** : يـا اخوانى • جاءتنى عريضـــة وقع عليها عشرون عضوا من اعضاء هـذا المؤتمر ، يسمون انفسهم « رابطة حماية الالوف من اخطار الايف والاوف » • التابعة « للوكالة المركزية لحمـاية المـلايين من اخطـار لنـين وستالين وكل بلشفى لعين » • وفى هـذه العريضة أن الخواجة روستوفتسيف دسيسة شيوعيه على عقائدنا السنية • وانا استنكر هـذه الاتهامات الجزافية • ولكنى برغم هـــذا ، منعـا للشغب ، شحنت هـذا الخواجة فى صندوق الى الجبانة التى جـاء منها فى مكان ما بأمريكا الشمالية قبل ان يقـــدم تقريره عن حـالة النسـاء فى روما القديمة • وبنـاء عليه فعليكم الآن ان تـدعوا احـد رجلين : امـا جيبون الانجليزى وامـــا مومسون الالمـانى ليصف لنـا حالة المرأة فى روما الذهبيـة وما تيسر من العصور الوسطى •

مجاهـد بن الشماخ : لم نسمع بهـذا ولا ذاك • لمـاذا لا نـدعو المسعودى أو المقريزى أو ابن عبد الحكم أو ابن تغرى بردى او ابن أياس ؟

صانع الاقنعة : مؤلاء سندعوهم فى مناسبات اخرى ، ولا سيما حين نتكلم عن الطولونية والاخشيدية والفاطمية والايوبية • أنـا اقترح أن ندعو ادوارد جيبون رغم انه مات منذ مائتى سنة لان جيبون فى الواقع واحد من قبيلتنا نحن الادباء • هل من معترض ؟

ولم يعترض معترض ، ولكن لم يبد على أحد حماس • فدخل جيبون قاعة الجلسة بمجرد ان قال صانع الاقنعة : « ادخل يا جيبون » •

جيبون : انتم تريدون تقريرا عن نساء الرومان ؟

صانع الاقنعه : من اجل هذا دعوناك • وسنعطيك مقابل هذا كالعادة تذكرة طائرة مجانية الى الاقصر لتزور الكرنك ووادى الملوك •واذا انسجمنا من كلامك فرجناك على السد العالى وابو سمبل ، اما اذا انشكعنا جدا دعوناك للاقامة اسبوعا كاملا فى لوكاندة عمر الخيام على حساب الخواجة طرايان ووزارة الثقافة •

جيبون : اولا يجب ان تعرفوا ان الرومان كانوا على عكس اليونان على خط مستقيم •

صانع الاقنعه : ماذا تقصد بالضبط ؟

جيبون : اولا الرومان كانوا قوما اسوياء جنسيا ، وكانوا يحتقرون الشذوذ أو الاورانية ويسمونها « العادة الجريجية » • ثانيا الرومان كانوا كأهل الغابة ، يعيشون بلا فرامل ، وينظرون للجنس نظرهم الى الاكل والشرب • وكانوا يعيشون فى جزع من الجوع الجنسى ويسوون بين

الرجال والنساء فى الفوضى الجنسية • كانت الحياة الجنسية عندهم تبدأ فى سن ١٢ بالنسبة للبنات و ١٤ بالنسبة للاولاد • ومن أيام رومولوس مؤسس روما ، حتى ظهور النظام الملكى ، كانوا يعيشون فى شىء شبيه بفردوس القطط والكلاب • ومع ذلك فقد عرفوا نظام الزواج حتى فى عصر الفطرة • وكانت اقدم صور الزواج عندهم شراء الزوجة من ابيها • ولكن كان فى امكان اى رجل ان يصبح الزوج الشرعى لاى بنت دون موافقة ابيها اذا استطاع ابقاءها فى بيته سنه كاملة ، بشرط الا تبيت البنت خارج بيته اكثر من ثلاث ليال طوال السنة • فاذا حدث هذا أمكن للانسان ان يسترد ابنته ويبيعها لزوج آخر •

المعلم العاشر : ولماذا ثلاث ليال ؟

جيبون : لا تسلنى فانا لا اعرف • ولكن لا تظن ان الرومان كانوا قوما بلهاء لقد قضوا كل حضارتهم لا عمل لهم الا شن الحروب ومد الطرق ووضع القوانين • وكانت بعض قوانينهم تبدو غريبة ولكنها فى الحقيقة وجيهة • مثلا كان من اسباب الطلاق عندهم ان تقوم المرأة بتزييت اقفال المنزل • والاغلب أن الازواج الرومان كانوا يربطون بين التشحيم والخيانة الزوجية على كل حال الرومان كانوا ينظرون الى النسل البشرى نظرهم الى العجول والبقر والجديان والماعز• فكان الاب « يملك » كل من ينجبهم من بنين وبنات ويتصرف فيهم كما يشاء : بالقتل او البيع

او المقايضة أو الاستثمار · نحن فى انجلترا نحب أن نقايض على زوجاتنا ، ولكن الجديد عند الرومان انهم كانوا يقايضون على أولادهم · تصوروا ان كلمة رومانتيكية مثل كلمة « الفاميليا » يعنى « الاسرة » كان معناها باللاتينية « الرقيق » او « الممتلكات » أو شيء قريب من معنى « ما ملكت ايمانكم » وهذا تجاوز سلطة الاب عند اليونان وفى بابل واشور ومصر القديمة · ولكن كان على الاب قبل أن يتصرف فى بنيه أن يستشير مجلس الاسرة وهو يضم الاقارب والاصدقاء · على ان الاب الرومانى فقد تدريجيا سلطته فى قتل اولاده وانكمشت سلطته على بناته فى الحدود المالية ، فزواج البنت كان مصدر دخل للاب · وبقى للزوج الحق فى قتل زوجته اذا ضبطها متلبسة بالخيانة ، ثم سلب منه هذا الحق فى روما الامبراطورية ، اى منذ يوليوس قيصر فصاعدا ، غالبا لان يوليوس العظيم كان يخشى ان تبقى روما بلا نساء ·

وفى الالواح الاثنى عشر (٤٥٧ - ٤٤٩ ق·م) وهى اقدم قوانين مدونة معروفه فى روما ، كان القانون يحرم الزواج غير المتكافىء ، اى الزواج بين أبناء الاشراف وبنات الشعب · وكان من اشد الناس ضراوة ى تطبيق هذا القانون حاكم متعجرف اسمه ابيوس كلوديوس ثم سخر منه القدر فجعله يعشق بنتا من بنات الشعب اسمها فرجينا وكانت فرجينا بنت ضابط مخطوبة لتربيون من تربيونات الشعب ، وهو مثل قولكم عضو مجلس الامة ·

وغضب الاب لشرفه فطعن بنته واجهز عليهـا فى الفورم ، وهـو سوق رومـا • وادى هذا الى قيام فتنـة فى الجيش فتراجع الاشراف والغـوا القانون واجازوا الزواج المختلط •

وبتقـدم المدنية الرومانية فقـدت المـراة قيمتها كعاملة أو دابـة من دواب الحمل فى الحقول ، واصبحت ست بيت ، اى اصبحت عبئا على زوجهـا • وبهذا تغيرت عـادة شراء الزوجات ، واصبحت الزوجـة هى التى تدفع المهـر الـزوج وتشـارك فى الانفاق على البيت • وهـذا اعطى الاب الحـق فى ان يحتفظ بسلطته على بنته بعـد الزواج ، كمـــا ان استقلال المـراة الاقتصادى دعم مركزها ووسع حرياتها الى درجـه غير لائقة بمكارم الاخلاق ، فشاع التساهل فى الحياة الزوجية • وعلى كل حـال فان الزوج الرومانى لـم يكن فيه من صفات عطيل شىء كثير ، بـل كان رجـلا عمليا يقبل الامر الواقع • وكان من الممكن للطرفين فض الزواج اذا استفحل الخلاف • وكان يمكن للمرأة ان تطلب الطلاق عن طريق القاضى لاسباب متعـددة منها غياب الزوج مـدة طويلة فى الحرب ، وقـد انتشر الطلاق فعـلا اثنـاء الحرب البونية الثانية ، وفى النهاية كان يكفى للطلاق مجـرد طلب الـزوج للخـدمة العسكرية ! وفى روما الامبراطورية استغنى الرومـــان عن القاضى فى الاحوال الشخصية فأصبح يكفى للطلاق مجـــرد اعلان شفوى من أحـد الطرفين • وكان من الممكن ترتيـــب الامور بطريقة أخرى : فكان مألوفـا أن يتنـازل الزوج عن زوجته لصـديق من اصدقائه أو من اصدقائها ، مثلا كاتــو

الاصغر تنازل عن زوجته النبيلة مارسيا لصديقه هورتنسيوس لان هورتنسيوس اراد أن ينجب منها أطفالا . لاشك ان الرومان كانوا يرون هذا افضل من ان تنجب مارسيا لهور تنسيوس اطفالا وهى لا تزال فى عصمة كاتو . كذلك أوكتافيوس قيصر الشهير بأوغسطوس – عدو انطونيوس وكليوبترا – انتقلت اليه زوجته الاخيرة ليفيا بالتنازل من زوجها كلوديوس ، وفى روما الجمهورية – اى قبل القياصرة – كان هذا التنازل لا يتم الا برضا الزوجة لمنع بيع الزوجات أو نقل امتيازهن او اعطاء التوكيلات بحقوق الارتفاق والاستغلال ولكن روما الامبراطوريه بدات تتساهل فى هذا الشرط الانسانى ، فاصبح التنازل عن الزوجة كالتنازل عن عقار أو موبيليا او بهيمة .

عميد الصعاليك : يعنى مثلا شخص مزنوق فى قرشين هل كان يمكن أن يتنازل عن زوجته ؟

جيبون : لا . هذا يكون بيعا ، والبيع ظل فى روما الامبراطورية امتيازا لصاحب المال وهو الاب ، وانما فى اغلب الحالات كان التنازل يتم لاسباغ الصفة القانونية على زنا الزوجة بطريقة ودية بدلا من تتلهابحسب ما يبيح القانون . وفى العصور المتأخرة حين انتشرت الفروسية . كان من قواعدها اعتراف الفارس بعشيق زوجته . ولم يكن هذا مظهرا للكرم الرومانى ولكن اثباتا لان لزوجته معجبين. منطق غريب طبعا . فنحن اليوم لا نسمى مثل هذا الرجل

فارسا بـل نسميه باسم آخر اقـل رومانتيكية • فانظروا كيف تقدمت آداب المحـدثين على آداب القدمـاء وعلى العموم فانه لم يعرف عن الرومان ابـدا انهم كانوا يقتتلون عـلى النساء ، والمرآة عنـدهم لم تكن تـدخل فى قاموس النخوة • على الفلوس • نعـم • امـا على النساء فـلا •

مجاهـد بن الشماخ : الم نقـل لكم ان هـذه الشعوب الاوربية منحطـة بالفطرة ؟

الفارس المفروس : على العموم من يقرأ « مجذون ليلى» لاحمد شوقى يجـد ان العرب فى العصر الذهبى عرفت هـذه الفروسية المهببة ، ولو فى تقاليد العذريين وبنى عـامر • قيس مثلا كان يغار من ورد زوج ليلى ويضايقه بالاسـئلة الكثيرة عما كان يجرى بينه وبين زوجته بالليـل ، مثـل قولـه :

بحقـك هـل ضممت اليـك ليـلى
قبيـل الصـبح او قبلت فاهـا ؟
وهـل رفت عليـك قرون ليـلى
رفيف الاقحـوانة فى نـداها ؟

لدرجة ان ورد ذات مـرة أجابه معاتبا فى رفـق :
الزوج لا يسأل هـل قبل اهله وكم ؟
نعم لقـد قبلتها من راسها الى القدم

يعنى الزوج يعتـذر للعاشق عن قيامه بواجبـاته الشرعية • بـل ويؤكـد لـه ان ليلى لا تزال صنـاغ سليمة ديوم ان تسلمها :

كانت اطافتى بهـا كالوثنى بالصنم ·

صانع الاقنعة : فلنعـد الى الرومان ·

جيبون : هـذه عـادة سيئة عنـدكم ··· كل شيء تنسبونه الى العرب أو المصريين · حتى العادات السيئة ، اتركوا شيئا للشعوب الاخرى · العرب لـم تبتدع هـذه الفروسية المهيبة · هـذا كان من ابتكار الرومان : ان العاشق او العشيق كان يغـار من الزوج · ويقال ان الشاعر أوفيـد هـو الـذى ابتكر هـذه التقليعة فى ديوانه « الغراميات » وفى ديوانه « فن الحب » وعنـه انسربت فى أوروبا اكثر من الف سنة ، اى طوال العصور الوسطى ، وبالاخص بعد ان امتلات اوروبا بالفرسان من قوط وفنـدال وهون وبرابـرة نورديـين بشعر اشقر وعيون زرقاء وقامة فارعة مثـل الملك آرثر وفرسـان المـائدة المستديرة : تريستان ، وبارسيفال ، وسيجفريد ، ولانسيلوت وجالاهاد ، ممن كان يحلم بهـم هتلـر فى نوبات الصرع الآرى التى كانت تنتابه · وكانـت للشاعر أوفيـد نظرية معقولة فى العشق نطبقها نحن فى الزواج وهو انـه لا بهجة فى الغرام اذا جـاء سهلا يسيرا ، اى ان الغرام لا يكون غراما الا اذا كان غزوا لقلب امرأة لآ يستطيع كل انسان أن ينالها · وكلما شق الغزو زادت اللـذة عنـد سقوط القلعـة وزادت نشوة الانتصـار · والمرأة التى لا حارس لهـا تشبه القلعـة المفتوحة او قلعـة بغير فرسان · وبالطبع فى هـذه التقليعة تكون امنع قلعة هى المرأة المتزوجـة التى يحرسها زوج غيور شـديد اليقظة مثـل الوولف الالمـانى

أو الوولف الالزاسى ، واوفيد يقول انه يحب صاحبته كورينا بسبب مناعتها وأنه يغار كلما تصورها تقبل زوجها ويحذرها من حب زوجها ، بل ويصور فراش الزوجية على أنه فراش « الخيانة » تماما مثل صاحبكم قيس بن الملوح ، مجنون ليلى • والحب عند أوفيد له استراتيجية مثل استرلتيجية الحرب •. فالمكان الملائم لحصار المراة ليس البيت ولكن الحفلات والمسرح والملاهى العامة • واستراتيجية بلا تكتيك لا تؤدى الى شيء : فلابد اذن من مرسال أو وسيط، وافضل مرسال او وسيط هو الوصيفة أو الخادمة • ثم ان الشجاعة نصف المعركة • ولكن يجب أن يفهم العاشق أن الهجوم الخاطف خطأ جسيم • فمد اليد أو خطف قبلة يفسد كل الخطط • المهم هو الصبر والتحلى بأداب السلوك التى يسمونها « الكورتوازى » أى سلوك البلاط ، باعتبار ان فينوس ربة الحب ملكة والعاشق فارس يخدم فى بلاطها! والمظهر الطبيعى لهذه الفروسية هو خدمة المحبوبة واظهار الاهتمام بها فى كل مناسبة ، ولا سيما فى المرض ، والرمز الطبيعى لهذا الاهتمام هو الهدايا : من علب البونبون الى باقات الورد ، ولا بأس من خاتم رخيص أو حلق فالصو او شنطة يد من وقت لآخر • اما فصوص السوليتير فهى تفسد كل علاقة بين العشاق لانها تثير جشع المرأة وتجعلها تنظر الى فارسها على انه منجم ماس أو بلاتين وليس مجرد معجب ولهان • طبعا ديوان « فن

الحب » عمل سكاندال فى روما القديمة ، لا لانـه كان خارجا على الاداب ولكن لانـه كان وصـفا صادقا للمجتمع الرومانى فالناس فى العادة لا تحب من يضع امامها مرآة لترى دمامتها الحقيقية . وعلى العموم فقـد نفى اوفيـد غجأة الى آخر اطـراف الامبراطورية فى تونى على البحـر الاسود سـنة ٨ ميلادية ، نفـاه الامبراطور أوغسطوس قيصر دون ابـداء اسباب لا بسبب شعره ولكن بسبب علاقته بحفيدة الامبراطور التى نفيت ايضـا فى نفس السنة .

وانتم تقولون بحق ان النـاس على دين ملوكهم . متاريخ اباطرة الرومان زفت فى قطران . خـذوا مثلا يوليوس قيصر الذى فتح الدنيا اذا صدقنا الازجال التى كان يؤلفهـا جنوده عنـه وعن علاقته بالسيد بثينيا كما جـاء فى « تاريخ القياصرة الاثنى عشر » للمؤرخ الرومانى سويتونيوس فـان يوليوس قيصر كان نواسيا من طبقـة كومودور . وبعــده اوكتافيوس اى أوغسطوس قيصر ، كان فظيعـا جنسيا ، وقـد تزوج ثلاث مرات : الاولى من كلوديـا التى هجرهـا ليتزوج من عشيقته سكريبونيا ، وكانت امراة متزوجـة فطلقهـا من زوجها وهى حامل قبل الوضع بأيام ، ثـم طلقهـا بتهمة الانحلال الخلقى ، ليتزوج من ليفيـا التى دخلت عليه بطفلتين من زوجهـا الاول . وحين دب الملل فى قلبـه خشيت ليفيـا ان يتخلص منهـا فكانت تأتيه بالعـذارى الصغيرات جـدا من بنات الفقراء تماما مثـل صاحبكم شهريار فى « الف ليلة وليلة » وكان العـذر الرسمى الـذى

اعلنه أطبـاء البلاط ان هـذا يجـدد الخصوبة فى الامبراطور ولكن خصوبة الامبراطور لـم تتجـدد وانتهى امره بالتبنى ولن احـدثكم عن بنات زوجات الامبراطور وبناتهن مثـل جوليـا وبنتها جوليا فقـد طحن مع الرجال وساءت سمعتهن لـدرجه ان أوغسطوس تيصر نفاهن وجردهن من الحقـوق الملكية • ولكن أوغسطوس حين بلغ الستين تحول الى رسول من رسل الاخلاق فسن مجموعة من القوانين لتشجيع الزواج وحماية الاسرة ، فحرم توريث العزاب الـذين فى سن الزواج وأعطى الاولوية للتعيين فى وظـائف الدولة لـذوى الذريـة الكبيرة وضيق فى الميراث على المتزوجين بـلا نسل وقيـد الطلاق فاشترط لوقوعه وجود سبعة شهود • وجعل الـدولة تتقاسم مع الزوج المخدوع مؤخر صـداق زوجته المطلقـة للزنا ، وفرض العقوبات على الازواج الذين يخونون زوجاتهم مع محظيات • ولكن بعـد موت أوغسطوس قيصر لـم يلتفت أحـد الى قوانينه لان اباطرة الرومان الذين اعقبـوه كانوا تشكيلة غريبة من الشواذ والمصابين بالحب الافلاطونى ، مثل الامبراطور فيتليوس الـذى قتله جنود فسبازيان لسـوء سلوكه ، والامبراطور السورى الاصل هليوجابولوس الـذى كان يظهر فى الحفلات الرسمية فى ملابس النساء ويلبس ياقة مرصـعة بالجواهر واساور مرصعة بالـدر وقـد زجج حاجبيه بالقلم الاسود وصبغ خـديه بالبودرة والروج وكان يجلس فى قصره الى النول وينسج كالنساء ، وقـد وزع سـلطاته الامبراطورية على عشاقه العديدين وكان احـدهم يسـمى

نفسه زوج الامبراطورة ، وقد قتل الجنود الامبراطور وهو فى سن الثامنة عشرة • حتى هادريان المحبوب تشبه باليونان فى شيئين : اطلاق اللحية والافلاطونية أو الاورانية • ولكن أغرب مافى الرومان أن أباطرتهم العقلاء كانوا شواذا جنسيا بينما كان اباطرتهم المجانين طبيعيين نسبيا : كاليجولا مثلا الذى عين حصانه قنصلا ، ودومتيان ونيرون وكومودوس طلقوا زوجاتهم بسبب الملل او سوء السلوك وزهدوا فى النساء لان شهوتهم المفضلة كانت شهوة السلطة وشهوة تعذيب البشر •

وافظع من اباطرة روما كانت امبراطوراتها ، واشهرهن مسالينا ، الزوجة الثالثة للامبراطور كلوديوس هذه كانت مجنونة بالجنس وحب السلطة معا ، وكانت معرفتها امتحانا عسيرا للرجال لانها كانت ترسل الى الجلاد عشاقها الخائبين • وفى مرة اعدمت رجلا لانها طمعت فى بستانه وأعدمت رجلا لانه أبى أن يسايرها الى الفراش • وفى مرة اخرى كانت تعدم أشراف روما بالجملة لتنفرد بالسلطان فلما استتب لها الامر بدات « ترمرم » ففى مرة اعجبت باحد الممثلين فأمرت باحضاره الى جناحها الخاص ، ثم تفزت القفزة الكبرى التى خلدت اسمها فى تاريخ الامبراطورية فخصصت لنفسها حجرة فى بيت من بيوت الدعارة وعلقت يافطة باسمها الحركى أو اسمها فى المهنة وهو ليسيسكا ، بحسب الاصول المتبعة فى روما القديمة • وكانت روما كلها تتحدث بذلك وزوجهاالامبراطور كلوديوس لايحرك ساكنا ولكنه اعدمها أخيرا حين حاولت ان تخلعه لتجلس على عرشه عشيقها الشاب جايوس سيليوس • ثم تزوج كلوديوس من

اجربينا اخت الامبراطور كاليجولا التى كانت بينها وبين اخيها علاقة محرمة ثم نفاها • فلما اصبحت اجربينا سيدة روما اخذت تقتل من حولها من نساء البلاط الجميلات او تنفيهن غيرة من جمالهن • ونجحت فى أن تحمل كلونيوس على ان يحرم ابنه من وراثة العرش لحساب نيرون وهو ابنها من زوج سابق ، ولما لم يمت كلوديوس فى سن معقولة دست له السم ، ثم حاولت ان تسيطر على ابنها نيرون كما سيطرت على زوجها كلوديوس فاغتالها نيرون • ولكن بوبايا سابينا ، زوجة نيرون الثانية نجحت فيما فشلت فيه أجربينا ، وكانت بوبايا من أصل شعبى ومتزوجة من قائد الحرس البريتورى فطلقها نيرون وزوجها من صديقه أوتو بقصد ان يعيش الثلاثة فى تبات ونبات • ولكن أوتو رفض هذا التبات والنبات فأبعده نيرون من بوبايا وجعله حاكما على المنطقة التى نسميها الآن البرتغال • ثم تزوج نيرون من بوبايا وجعلها امبراطورة روما فوضعت فى أنفه خطاما وحين أنجبت له بوبايا بنتا رقاها الى لقب « أوغسطا » أى « المعظمة » ولما ماتت أعلن أنها أصبحت الهه وبنى لها معبدا تقدم فيه القرابين والصلوات للربة بوبايا اوغسطا ! وكانت آخر حلقة كبيرة فى هذه السلسلة الذهبية من الملكات الفاجرات الامبراطورة ثيودورا (٥٢٧ ـ ٥٤٨) ميلادية زوجة جوستنيان العظيم أبو القوانين « المدونة » الخطيرة التى ترجمها الى العربية فقيه عندكم اسمه عبد العزيز فهمى

(باشا) • وقد كانت تيودورا فى الاصل بغيا شهيرة فى القسطنطينية ، وكانت وهى دون العاشرة تظهر على المسرح مع اختيها كوميتو وانستازيا وتخلع ثيابها قطعة قطعة للاغراء على طريقة الكباريهات المعروفة باسم « استريب تيز » ثم احترفت البغاء فى القسطنطينية على ارخص مستوى وعلى اغلى مستوى : من الجندى الى الجنرال ومن الجزمجى الى شهبندر التجار ثم عشقها والى بنتابوليس واصطحبها معه الى مقر عمله فى افريقيا • ولكنه لم يلبث ان طردها فتصعلكت فى الاسكندرية ورات اياما من الضنك الفظيع ، وطافت تحترف البغاء فى كل مدن الشرق القديم • اما كيف اصبحت تيودورا امبراطورة بيزنطة ، فيقال أنها فى سنى ضنكها رأت رؤيا أو حلما بأنها ستكون زوجة ملك عظيم • عجيبة هذه حكاية الرؤى التى تراها النساء دائما فتغير مجرى الحياة • نحن فى القرن الثامن عشر عصر العقل نرفض تصديق هذه الاشياء ، اما انتم فى القرن العشرين فعندكم علم اسمه السيكولوجيا يبحث فى هذه الظواهر • على العموم النتيجة كانت ان تيودورا عادت من بافلاجونيا الى القسطنطينية متأهبة للعظمة الموعودة وفى القسطنطينيه مثلت فنون المرأة المحترمة ، او « تابت » كما تقولون فى لغتكم ، واشتغلت بغزل الصوف لتكسب قوتها • وعشقها جوستنيان بجنون ، وكان يحكم بيزنطة فعليا باسم عمه ، ولما عارضت الامبراطورة فى زواجه من تيودورا انتظر حتى ماتت والغى القانون الذى يحرم زواج الممثلات من

الاشراف وتزوج من تيودورا وتوجها وجعل رجال الدولة يقسمون لها يمين الولاء فجعلها بذلك شريكته فى الحكم وكانت متغطرسة قاسية جشعة ينتظر صدور الدولة فى حجرة انتظارها ساعات طويله ثم يؤذن لهم فى الدخول فيقبلوا قدميها • وكانت تخرج فيخرج فى موكبها ٤٠٠٠٠ تابع وعلى راسهم وزير الداخليه (الوالى البرينورى) ووزير الخزانة ، أما جناحها الخاص فكان مليئا بالخصيان والوصيفات الداعرات ونشرت جواسيسها فى كل مكان ، وكانت تسجن من يعارضها فى اقبية مظلمة كدهاليز اللابرانت تحت قصرها وتأمر ان يعذبوا فى حضرتها ، فيموت منهم من يموت اما من ينجو فكان يفقد بعض اعضائه ليكون عبرة لمن يعتبر ، وهى تقاليد نافعة فى فن الحكم حافظت عليها بيزنطة اكثر من ١٤٠٠ سنة حتى حكم السلطان عبد الحميد • وكانت تيودورا متدينة الى حدالهوس فبنت ديرا فى الضفة الشرقية من البوسفور جمعت فيه ٥٠٠ من بغايا القسطنطينية وحبستهن مدى الحياة ، ومنهن من ييئسن من الحياة فالقين انفسهن فى مياه البوسفور • وقد كتب زوجها الامبراطور جوستنيان انه استوحى كل قوانينه من زوجته الملهمه من السماء •

هذا هو العصر الذهبى للمراة الرومانية : بدأ بشراء الزوجات وانتهى بتاليه البغايا والتثليث الجنسى باسم الفروسية • أما اذا أردتم تاريخ المراة الذهبية طوال الف

سنة من العصور الوسطى الاوروبية ، فعندكم رجل يدعى ستيفن رنسيمان ، استاذ باكسفورد واخصائى عصور مظلمة ، يستطيع ان يحدثكم عن غرام تريستان وايزولدا وباولو وفرنشيسكا وابيلار وهلويزا وبترارك ولورا ودانتى وبياتريس (عمرها ٩ سنوات) وعن احزمة العفة ذات الاقفال التى كان السير جودفرى وفرسان الحروب الصليبية يغلقونها حول خصور زوجاتهم قبل الرحيل الى الاراضى المقدسة ، وعما كان البابا اسكندر السادس يفعله مع اخته وبقية السيرة العاطرة لآل بورجيا ومديتشى وتشنشى وغيسكونتى • وربما وجدتم نوادر ذهبيه كثيرة عن بنات افروديت الذهبية فى الكتاب الذهبى عن « تاريخ البابوات » للمؤرخ فرايهر •

صانع الاقنعة : شىء مقرف • شىء مقرف • لا نريد مزيدا • انتم مترفون يا حضرات الخبراء الاجانب •

جينون : الحقيقة دائما مقرفة يا حضرات الادباء المصريين ، نحن فى أوروبا نعرف ذلك ، ولهذا نواجهها بشجاعة فنثبت اقدامنا على الارض حتى حين نحلق فى السماء السابعة • ولهذا اعترفنا بحقوق المرأة وبحرياتها وساويناها بالرجل من يوم ان ساوينا الرجل بالرجل فى الثورة المجنونة التى تسمونها الثورة الفرنسية • أما أنتم فلكثرة غرامكم بالشعر تعيشون بين السحب وترصعون هاماتكم بالنجوم وتلتحفون بالمجرة لتهنأوا بالنوم ، وتحلمون بعصر ذهبى لا وجود له وتتوهمون ان الاجداد كلهم فضائل والاحفاد كلهم رذائل ، نحن أيضا كنا نفكر مثلكم

حتى اكتشفنا ان العالم يتقدم ولا ينحط ، وعرفنا ان التقدمية وهى النظر الى الامام خير من الرجعية وهى النظر الى الوراء • وكان ينقصنا الاثبات حتى جاء ولد لنا اسمه داروين واثبت لنا ان الانسان كان منحطا ثم ارتقى ولم يكن راقيا ثم انحط ، وخلصنا من فكرة الخطيئة الاولى التى لازمتنا منذ ان نظم الشاعر غرجيل رؤيا العصر الذهبى قبيل عام واحد ميلادية حتى ١٨٥٩ ، عام ظهور كتاب « اصل الانواع » •

صانع الاقنعة : الآن وقد استنار المؤتمر بتقارير الخبراء عن المراة الذاهبية فى العصر الذهبى عند العرب وفى مصر القديمة وفى بابل وآشور وفى اليونان القديمة وفى روما القديمة ، لم يبق الا ان ناخذ الاصوات على هذا السؤال: هل المراة اليوم احط منها فى العصر الذهبى أو فى مستواها او ارقى منها ؟

ابن سيركوف : سيدى الرئيس • قبل ان نأخذ الاصوات بلغنى أن الدكتور خطة ارسل لسيادتكم تقريرا برايه فى هذا الموضوع • وانا اطالب بقراءته على الاعضاء•

صانع الاقنعة : هذا صحيح ولكنى استبعدت هذا التقرير لان الدكتور خطة ليس اديبا ولا فنانا ، بل استاذ فى الاقتصاد •

ابن ماركوف : نريد التقرير •

على الزيبق الجوكى : يجب ان تتفاعل الفنون والآداب مع الاقتصاد •

الايديولوجى الفهلوى : حتمية الحل الاشتراكى تحتم هــــذا ٠

صانع الاقنعة : لا بأس ٠ لا بأس ٠

ثــم أخرج صانع الاقنعة من ملف أمامــه ورقة تلاهـا على الحاضرين ٠

قالت الورقة :

« سيدى رئيس مؤتمر الادبــاء والفنانين :

« تحيــاتى ٠٠٠ انتم رجال الادب والفن تعشــــقون الكلمات ، ولاسيما الكلمات السحرية ، مثــل حقوق الانســان وتحرير المرأة لانكم مثل قبائل الاشانتى والشولوك والدنكــا لا تزالون تعيشون فى عصر السحر ، حيث الكلمة مســاوية للفعل ٠ انتم تثبتون كل شىء بالاشعار ، مثــلا اذا أردتــم تعليم البنات قلتم « الام مدرسة اذا اعــددتها اعــددت شعبا طيب الاعراق » ٠ واذا اردتم ان تجعلوا المراة مجرد غانيــه فى الحريم قلتم : « كتب الحرب والقتال علينــا وعلى الغانيات جــر الذيول » ٠ واذا أردتم اغلاق مدارس البنـــات وحصر نشاط المراة فى الطبخ ومسح البلاط وشغل الابرة ، قلتــم مع المعرى :

علمــوهن الغــــزل والـــردن
وخــــلوا كتــــابة وقــــراءة ٠
فصلاة الفتـــاة بالحمد والاخـــلا
ص تغنى عن يـــونس وبـــراءة

واذا اردتم تجنيــد النساء فى الخدمة العسكرية او

ادخالهن الحرس الوطنى تذكرتم ان اليونان كانت فيهـــا نســاء محاربات اسمهن الامازونات • واذا اردتم ان تثبتــوا ان المراة يمكن ان تحــكم مثــل الرجل قلتم : انظروا الى حتشبسـوت أو المـلكة اليزابيث أو الامبراطورة كاترين • واذا اردتم ان تثبتوا ان المراة لا تقـل تدينــا عن الرجـل تذكرتم رابعة العـدوية وسانت تيريزا ، وهكذا • امــا نحن رجال التنمية ، فنسمع كل هـذا الكــلام ونضـــحك من سذاجه الادباء • نحن لا نقول ان قاسم امين حرر المـــراة المصرية ، ولكننــا ننظر الى اربعة رسومات بيانية نطلبهــا من اللواء جمال عسكر مدير ادارة التعبئة : (١) رسم بيانى بنسبة العمالة بين النساء الىالعمالة بين الرجالمع بيـــان بانواع الاعمال التى يزاولها الرجال والنساء • (٢) رســم بيانى بنسـبة اجور النساء الىأجـور الرجال • (٣) رســـم بيانى بنسبة توزيع المـلكية بين الرجال والنساء • (٤) رسم بيانى بنسبه التعليم بين الرجالوالنساء مع بيان نـــوع التعليم ودرجته • واذا أردنــا ان نعرف حــالة المراة فى عهد رمسيس الثانى أو البطالسة أو المماليك طالبنا أولا باعداد هـذه الكشوفات قبل ان نقرر اذا كان العصر ذهبيا أم فضيا ام نحاسيا أم حـديديا • وبعـد دراسة هـذه الجـداول نحـكم ان كانت المراة المصرية متحررة فعـلاً ام نصف متحررة أم متحررة فى الظاهر فقط أم ميئوس من تحريرها ، واذا بقى لدينا وقت بعـد هـذا نظرنا فى هـذه الاعتبارات المعنـــوية التى يتحـدثون عنهــا كأثر الثقافة او الفلسفة الاجتماعيــة

والحضارية والفكرية والروحية فى تحديد وضع الانثى بالنسبة للذكر سواء فى الاسرة أو فى المجتمع ٠

« نحن نعرف مثلا من خريطة العالم الاقتصادية ان المراة الروسية والمراة التشيكوسلوفاكية اكثر تحررا واكثر مساواة بالرجل وبالتالى اقل ذهبية من المراة الانجليزية أو الفرنسية ، لسبب بسيط وهو ان نسبة عمالة النساء الى الرجال فى الاتحاد السوفييتى وتشيكوسلوفاكيا هى ١ : ٢ اى امراة تعمل مقابل كل رجلين يعملان ٠ وقد كانت نسبة عمالة النساء فى روسيا القيصرية ، قبل ثورة ١٩١٧ ، فى المتوسط ١ : ١٠ ، وهذه الثورة الحقيقية فى انتاجية المراة الروسية هى التى ادت الى تدعيم حريتها ومساواتها بالرجل ، وليس بيانات تشايكوفسكى ، ومايكوفسكى وتوجآن بأرانوفسكى ٠ والمراة الانجليزية لم تتحرر نسبيا الا بعد الحرب العالمية الاولى ٠ فعندما كتب الحرب والقتال على الذكور الانجليز فى الفلاندرز وغيرها لم تجلس المراة الانجليزية على عجزها او تكتفى بجر الذيول ، بل لبست الاوفرول ودخلت المصنع وساقت الكاميون او التاكسى او الجرار ووزعت البريد وخرمت التذاكر ٠ كانت نسبة عمالة النساء فى انجلترا قبل ١٩١٤ نحو ١٥٪ من مجموع القوة العاملة ، اى ١ : ٧ تقريبا ٠ وكانت أول ثمرة لازدياد العمالة بين النساء حصول المراة الانجليزية على حقوقها السياسية جزئيا فى ١٩١٨ ، فنالت حق الانتخاب لمن يبلغ سن الثلاثين ، وفى ١٩٢٨ ، طبعا بسبب ازدياد عمالة

النساء ، لمن بلغن سن ٢١ ٠ والآن ، مـا هـو المـــوقف فى بريطانيا ؟ ارتفعت النسبة الى ١ : ٣ ، ففى المملكة المتحدة ٢٠ مليون وظيفة تشغل النساء منها نحو ٥ ملايين ويشـغل الرجال ١٥ مليونا ٠وهـذا الاستقلال الاقتصادى النسـبى هـو الدعامة الاساسية للمساواة بين الجنسين ٠ ولكنهـا طبعـا مساواة غير كاملة ، رغم أن بريطانيا تحكمها امـراة لسبب بسيط ، وهو ان متوسط اجر العامل فى بريطانيا ١٤جك فى الاسبوع بينما متوسط دخل العاملة ٧ جك فى الاسـبوع (لا تسألونى لـماذا يسمون الجنيه الاسترلينى جك وليس جس) وليس معنى هـذا ان المهنـدس أو الطبيب أو المدرس أو العامل البريطانى بالضرورة يتقاضى ضعف مـا تتقاضاه المهندسة أو الطبيبه او المـدرسة او العاملة البريطانية اذا قامت بنفس العمل ، ولكن فى حساب المتوسطات نخلط دخل الزبال ودخـل المدير العام ونقسم على ٢ ٠ وسبب انخفاض دخـل النساء العامـلات هـو أن اكثرهن يشـغلن الوظائف الدنيا كاعمال السكرتارية والبيع فى المحـــلات التجـارية والخـدمة فى المطاعم والبارات والبيوت والفنادق والمحـلات العـامة ٠ نفس المشكلة قائمة بالنسبة للمرأة الامريكية ٠ ففى الولايات المتحـدة نحـو ٧٠ مليون وظيفة منهـا نحـو ١٤ مليونا تشغلها النساء و ٥٦ مليونا يشغلهـا الرجال ، اى بنسبة ١ : ٤ ، وهـو اقـل من بريطانيا ومجموع أجـور النساء فى امريكا يتراوح بين ٥٠٪ و ٦٠٪ من مجموع أجور الرجال ٠ وقـد حصلت المرأة الامريكية على حق الانتخـاب فى

١٩٢٠ ومع ذلك فالمراة الامريكية تركب الرجل الامريـكى لان نساء أمريكا يملكن بحسب آخر احصاء ٨٠٪ من قيمـــــة الاموال المستثمرة فى أوراق مالية • أو بعبارة اخرى الذكور فى امريكا بروليتاريا تشتغل لحساب الاناث فى امريكا • وهذا يريكم ضرورة الرجوع الى الرسم البيانى بتوزيع الملكية فى المجتمع كلما أردتم ان تتكلموا عن تحرير المراة • امـــا المراة الفرنسيه فـلم تحصل على حق الانتخاب الا فى ١٩٤٦ وهى متخلفة فى المساواة بالرجل رغم الاسطورة الشائعة فى العالم عن تحرر المراة الفرنسية ، وهى اسطورة خلقهـــــا عشاق باريس ولم يدركوا انهـا للاستهلاك الخـارجى • ولم يدركوا أن باريس صممت لتكـون عاصـمة أوربـا ، ونسبة العاملات الى العاملين فى فرنســا هى ١ : ٦ ، ولكن هذه القياسات طبعـا غير دقيقة لان فرنسا لا تزال فى صميمهـا بلـدا زراعيا ، والاحصاءات فى الريف عـادة غير دقيقة لان تعاون المراة فى الانتاج الزراعى والحيوانى وفى الصـــناعات المنزلية الخاصة بالاسرة أمر يصعب حصره • أمـا فى مصر فليست هنـاك احصاءات واضحة لحالة العمالة بين النسـاء والرجال بسبب غلبـة الاقتصاد الريفى • وانما المعروف أن مجموع القوة العاملة (بين سن ١٥ وسن ٦٠) يتراوح بـين ٦ و ٧ ملايين • ويظن ان نسبة عمالة النساء الى الرجـــال عندنا ١ : ٦ فلابد أن تكون نسبة أجور النساء الى أجور الرجال ونسبه توزيع الملكية نسبة مزرية جـــــدا بحيث تفسر انعـدام المساواة بين النساء والرجال رغم مـا يقوله الميثاق

فى هــذا الوضوع ، بــدليل عجز المراة المصريه حتى الآن عن اصلاح قوانين الاحوال الشخصية مثلا • والمراة المصرية الى الآن تعتبر ان بطنهــآ هى مصدر رزقهــا الاســـاسى • فوسيلتها الاولى فى ضمان قوتهــا اليومى هى تكبيل زوجهــا بعشرة اطفال حتى يعجز عن التخلى عنها ، أو لتضمن لنفسها اعــانة بطالة أو اعــانة شيخوخة فى حالة الرفت بالطلاق • وهــذا ما يجعل كل خططنا لتحــديد النسل هبــاء فى هبــاء ما لم تعــدل قوانين الاحوال الشخصية بحيث تمنع فصـــل الزوجات فصلا تعسفيا أسوة بعمال المصانع وتطبق عليهن قوانين التامينات الاجتماعية • ويوم ان نعترف ببطن المرأة كأداة من ادوات الانتاج الحيوانى ونخضعها لقوانين التأمينات الاجتماعية يمكننا أن نواجه مشكلة الانفجار السكانى مواجهة علمية لآ مواجهة شعرية ، ويمكن ان نحقق ما جاء من بنود عن المــراة فى « ميثاق العمــل الوطنى » •

وتفضلوا يا سيدى الرئيس بقبول وافر احترامى •

(توقيع)

(د• عبد الحافظ خطــة)

ابن سيركوف : تحيــا الاقتصاد ولوجيا •

ابن ماركوف : تحيــا عمالة المراة • يحيــا الاقتصـــاد محرك التاريخ •

المــاركسية المسخسخة : تسقط الاغــلال الذهبيـــة • يسقط القفص الذهبى •

خولة المــايسطرية : لا • لا • هــذه شيوعية • أنـــا

شخصيا احب الاغلال الذهبية لانى احب الخلاخيل الذهبية والاسورة الذهبية والخواتم الذهبية والحلقان الذهبية والعقود الذهبية ، وكل الاشياء المستديرة مادامت ذهبية ٠

شجرة اللولى : طبعا هذه شيوعية ، ونحن اعداء الشيوعية ، مادام الرجال يحبون الاقفاص الذهبية فلابد من اقفاص ذهبية ولكن المهم ان تكون قضبانها سميكة عيار ٢٤ وواسعة بحيث يخرج العصفور ويدخل كما يشاء ٠ المهم ان يرى الرجل المراة داخل القفص الذهبى ، أو على الاقل ان يتوهم انه يراها ٠ وما دامت القضبان واسعة فليس يهم بتاتا ان اكون داخل القفص أو خارج القفص ، ومن أحاديث جدتى عرفت ان المشكلة الحقيقية هى تزيين فكرة القفص الذهبى فى عين الرجل حتى ينفق عليه كل ماله ويجمد ثروته فى قضبانه الذهبية : عندئذ يصبح الرجل ، لا المراة هو أسير القفص كما تتفرج النمرة فى جنينة الحيوانات على الاطفال من وراء القضبان ٠ انا شخصيا اكتشفت ان اللولى أغلى من الذهب ، وقفصى كله من اللولى ٠٠٠ يا حللولى ٠

صانع الاقنعة : كفى نقاشا ٠ لقد استمعنا لاهم الآراء ٠ والآن السؤال هو ، للمرة الثانية ، هل المراة اليوم أحط منها فى العصر الذهبى أو فى مستواها أو ارقى منها !

المعلم العاشر : انا معترض على طرح القضية على هذا الوجه ٠

صانع الاقنعة : على اى وجه تحب ان تطرحها ؟

على الزيبق الجوكى : لقد اثبت كل الخبراء بالاسانيد

التاريخية والحسابية والثقافية والاقتصـــــادية ان العصر الذهبى خرافة رجعية ابتكرها تحالف الاقطاع وراس المـال مع الاستعمار لابقـاء الشعوب المتخلفة فى تخلفها · فليـــكن السؤال : هل هنـــاك عصر ذهبى او لا ·

صانع الاقنعة : موافق · السؤال المطروح امامكم هو · هـل هنـــاك عصر ذهبىَ أو لا ؟

الموافقون يقولون : احم ! احم ! والمعارضون يقولون مثـل الكشافة : يعيش !

وهنـــا دوت القاعة بهتاف يصم الاذان يقول : يعيش ! يعيش · يعيش · ولـم يسمع آلا خمس أو ست أحمات · وكان الهتـــاف قاطعا فلم يجرؤ احـد ان يطالب بعـد الاحمات ·

صانع الاقنعة : نفهم من هـذا أن ادبـــاء مصر فى عهد الثورة يرفضون فكرة العصر الذهبى ويعدونها خرافة رجعية ننتقل الى القضية الثانية وهى : ان نساء الامس كن افضل من نســـاء اليوم ·

الايديولوجى الفهلوى : ماذا تقصـــد بافضل ؟

صانع الاقنعة : اقصـــد محصنات اكثر · يعنى بالبلدى أكثـــر عفــــة ·

مجاهـد بن الشماخ : على وجـــه اليقين · على وجـــه اليقـــين ·

المعلم العاشر : بعـــد كل ما قيل عن بلاج جلجل وحبال الفرزدق وتنكرات ابن ابى ربيعة وأورانية اليونان وماخور مسالينا واستريب تيز الامبراطورة ثيودورا ؟

صانع الاقنعة : خـذوا الاصوات بنفس الطريقـة ٠ الموافقون يقولون : احم ! ٠ والمعارضون يقولون : يعيش :

وللمرة الثانية ارتفع دوى هـائل يقـول : يعيش ! يعيش ! يعيش ٠ وغرقت الاحمات فى غـدير اليعيشـات ٠ ولكن الـذى لفت النظر ان اصوات الاحمات كانت دائمـا يتخللهـا رنين اصوات النساء من اديبات مصر ، فقـد كـن اشـد من الرجال حماسة للعصر الذهبى ٠

صانع الاقنعة : اذن فادباء مصر فى عهـد الثورة يرون ان نساء الامس لـم يكن اكثر عفـة من نساء اليـوم ٠

على الزيبق الجوكى : هـذا غير كاف ٠ انـا اطلـب التصويت على القضية الآتية : ان نساء الامس كن « اقل » عفـة من نساء اليوم ٠

صانع الاقنعة : ربما كان هـذا صحيحا ، ولكن لا داعى للاستفزاز يـا على الزيبق ٠ يكفى اننـا انقذنا سمعة المراة المصرية فى القرن العشرين ٠ ثـم لا تنس ان نساء الامس هن جداتنـا كما أن نساء اليـوم هن زوجاتنا ٠ ونقص عفـة جـداتنا يصيبنا نحن فى مقتل ٠ ويكفى اننـا بشهادة المؤرخين وعلماء الانثروبولوجيا والاثنولوجيا اكتشفنا حقيقة خطيـرة وهى انه فى جميع حضارات العالم القديم ، كانت المراة المصرية أولا ثم المراة العربية ثانيا تتمتع بحقوق الانسان (الحرية ، المساواة ٠ الاخاء) وبحقوق الحيوان (المأكل ٠ الملبس ٠ المسكن الفراش) اكثر من المراة فى بابل واشور واليونان القديمـة وروما ٠ وليكن هـذا اجمل ختام لاجمل جلسات جلستموها

امتزجت فيهـا المتعة بالفائدة • واسمحوا لى ايهـا السادة ان ارفع الجلسة وافض هـذه الـدورة الاولى لهـذا المؤتمر الاول لادبـاء مصر وفنانيها • وسأحـدد لكم موعـد الـدورة الثانيه ، ولكنهـا لن تكون قبـل شهور طويلة • واقترح ان يكون جـدول الاعمال فى الـدورة القادمة هو « نظم الحـكم بين القـديم والجـديد » الا اذا جاءتنى اعتراضات كافيـة من الاعضاء • والى أن يحين الحين : ارفـع الجلسة واعلن انتهـاء الـدورة الاولى للمؤتمر • وفقكم اللـه لمـا فيـه نصر الفنون والآداب والعلوم الانسانية • وشكرا •

وهنـا دوت القاعه بالتصفيق • وانصرف الحاضرون زرافات ووحـدانا بعضهم يصهلل وبعضهم يجمجم وبعضهم يحمحم • ولكن كثرتهم الغالبة انصرفت وهى تبتسـم فى طمأنينة المراهق الـذى اكتشف فجأة ان شاربه قـد اخضر بحيث يستطيع أن يعبث فيـه ويزهو به • وتفرقوا بـين فترينـات شارعى سليمان باشا وقصر النيل ، كل يبحث عن هـدية لزوجته تنفيـذا لقرارات المؤتمر الذى بـرأ نسـاء مصر من ذلة الاماء ومن خلاعة القيان : علبة بانكيك أو قـلم احمر شفايف أو زجـاجة بارفان ، بعـد ان تأكـدوا من ان رجـال العرب فى العصر الذهبى كانوا يهدون لزوجاتهم أدوات الزينة ، حتى عـز الدين ايدمـر المحيوى والخشداش ايواظ وأغاطبوزادة وأبو سنة ذهب لولى دخلوا جمـاعة الى دكـان هانو واشترى كل منهم لزوجته فستان سهرة من موضـة اللامعقول استنادا الى ما قالته كتب العرب عن المتجـردة

زوجـة النعمان بن المنـذر • وأمـا ابو الفتوح الصباح فقد جره المجاهـد بن الشماخ قائلا : اسمع يـا اخى • طبعـا نحن لن ننفـذ قرارات المؤتمر • يجب ان نتوارى عن العيـون حتى يرتفع هـذا البلاء • هـذا ما جرته علينـا وثنية اليونان وصليبية البابوات وبلشفية المعاصرين وجاهلية القـرن العشرين •

« انتهـى »

للمؤلف

١ ـ The Theory and Practice of Poetic Diction. M. Litt. Dissertation, Cambridge University.

٢ ـ « فن الشعر » لهوارس • الناشر : مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٤٥ • (كتب فى كامبريدج ١٩٣٨) • الطبعة الثانية : الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر القاهرة ١٩٧٠ •

٣ ـ « بروميثيوس طليقا » للشاعر شلى • الناشر : مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٤٦ • الطبعة الثانية : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٨٦ •

٤ ـ « صورة دوريان جراى » لاوسكار وايلد • الناشر: دار الكاتب المصرى ، القاهرة ١٩٤٦ • الطبعة الثانية : دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٩ •

٥ ـ « شبح كانترفيل » لاوسكار وايلد • الناشر : دار الكاتب المصرى ، القاهرة ، ١٩٤٦ •

٦ ـ « بلوتولاند » وقصائد أخرى : « من شعر الخاصة » • الناشر : مطبعة الكرنك ، القاهرة ، ١٩٤٧ • (نظم بين ١٩٣٨ و ١٩٤٠ بكامبريدج) •

٧ ـ « فى الأدب الانجليزى الحديث » • الناشر : مكتبة الانجلو المصرية ، القاهـرة ، ١٩٥٠ • الطبعة الثانية : الهيئة المصرية العـامة للكتاب ، ١٩٨٦ •
(بحوث نشر اكثرها فى مجلة الكاتب المصرى خـلال ١٩٤٦ و ١٩٤٧) •

٨ ـ Studies in Literature, Anglo - Egyptian Bookshop, Cairo, 1954.

٩ ـ « خاب سعى العشاق » لشكسبير • الناشر : دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٠ ، الطبعة الثانية : دار المعارف ١٩٦٧ (ترجمت ١٩٥٥) •

١٠ ـ « دراسـات فى ادبنـا الحديث » • النـاشر : دار المعرفة • القاهرة ، ١٩٦١ • (بحوث نشر أكثرها فى جـريدة « الجمهورية » عـام ١٩٥٤ وفى جريدة « الشعب » خـلال ١٩٥٧ و ١٩٥٨) •

١١ ـ « الراهب » : مسرحية تاريخية • الناشر : دار ايزيس ، القاهرة ، ١٩٦١ •

١٢ ـ « دراسات فى النظم والمذاهب » • الناشر : المكتب التجارى ، بيروت ، ١٩٦٢ • الطبعة الثانية : دار الهـلال ، القاهرة ، ١٩٦٧ •

١٣ ـ « المؤثرات الأجنبية فى الأدب العربى الحديث » الجـزء الأول : « قضية المـرأة » الناشر : معهد الدراسـات العربية العالية ، القاهرة ، ١٩٦٢ • (محاضرات ألقيت على طلبة المعهـد) •

١٤ ـ « المؤثرات الاجنبية فى الادب العربى الحديث » الجـزء الثاني : « الفكر السياسى والاجتماعى » الناشر :

معهد الدراسات العربية العالية ، القاهرة ، ١٩٦٣ • الطبعة الثانية • الناشر : دار المعرفة، القاهرة ، ١٩٦٤ • (محاضرات ألقيت على طلبة المعهد) •

١٥ ــ « الاشتراكية والأدب » • الناشر : دار الآداب ، بيروت ، ١٩٦٣ • الطبعة الثانية : دار الهلال القاهرة ، ١٩٦٨ • (بحوث نشرت فى « الجمهورية » خلال ١٩٦١ وفى « الأهرام » خلال ١٩٦٢ و ١٩٦٣) •

١٦ ــ « الجامعة والمجتمع الجديد » • الناشر : الدار القومية، القاهرة ، ١٩٦٤ •

١٧ ــ « دراسات فى النقدوالأدب » • الناشر : المكتب التجارى ، بيروت ، ١٩٦٤ • الطبعة الثانية : مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٥ •

١٨ ــ The Theme of Prometheus in English and French Literature (Ph. D. Dissertation, Princeton University, 1953). Ministry of Culture, Isis House, Cairo, 1963.

١٩ ــ « المسرح العالمى » • الناشر : دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٤ •

٢٠ ــ « البحث عن شكسبير » • الناشر : دار الهلال ، القاهرة ، ١٩٦٥ ، الطبعة الثانية : دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٨ •

٢١ ــ « نصوص النقد الأدبى عند اليونان » • الناشر دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٥ •

٢٢ ــ « مذكرات طالب بعثة » • الناشر : روز اليوسف سلسلة الكتاب الذهبى ، القاهرة ، ١٩٦٥ • (كتبت فى ١٩٤٢)

٢٣ ـ « دراسات عربية وغربية » • الناشر : دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٥ •
٢٤ ـ « على هامش الغفران » الناشر : دار الهلال ، القاهرة ، ١٩٦٦ •
٢٥ ـ « العنقاء : أو تاريخ حسن مفتاح » الناشر : دار الطليعة ، بيروت ، ١٩٦٦ (رواية كتبت بين القاهرة وباريس بين ١٩٤٦ و ١٩٤٧) •
٢٦ ـ « أجاممنون » لاسخيلوس • الناشر : دار الكاتب العربى ، القاهرة ، ١٩٦٦ •
٢٧ ـ « المحاورات الجديدة : أو دليل الرجل الذكى الى الرجعية والتقدمية وغيرهما من المذاهب الفكرية » • الناشر : دار روز اليوسف ، القاهرة ، ١٩٦٧ • الطبعة الثانية : دار ومطابع المستقبل ، القاهرة ١٩٨٦ •
٢٨ ـ « الثورة والأدب » • الناشر : دار الكاتب العربى ، القاهرة ، ١٩٦٧ • الطبعة الثانية : دار روز اليوسف
٢٩ ـ « انطونيوس وكليوباترا » لشكسبير • الناشر: دار الكاتب العربى ، القاهرة ، ١٩٦٧ •
٣٠ ـ « حاملات القرابين » • لاسخيلوس • الناشر : دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٨ •
٣١ ـ « أسطورة أوريست والملاحم العربية » • الناشر : دار الكاتب العربى ، القاهرة ، ١٩٦٨ •
٣٢ ـ « الصافحات » لاسخيلوس • الناشر : دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٩ •
٣٣ ـ « تاريخ الفكر المصرى الحديث » : من الحملة الفرنسيه الى عصر اسماعيل • (جزءان) • الناشر : دار

الهــلال ، القاهــرة ، ١٩٦٩
٣٤ ـ « الجنون والفنون فى أوروبا ٦٩ » • الناشر : دار الهــلال ، القاهرة ، ١٩٧٠
٣٥ ـ « دراسات أوروبية » • الناشر : دار الهلال ، القاهرة ، ١٩٧١ •
٣٦ ـ « الحــرية ونقد الحرية » • الناشر : مؤسسة التأليف والنشر ، القاهرة ، ١٩٧١ •
٣٧ ـ « الــوادى الســعيد » • الناشر : لصمويل جونسون ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧١ •
٣٨ ـ « رحلة الشرق والغرب » • الناشر : دار المعارف القاهرة ، ١٩٧٢ •
٣٩ ـ « ثقافتنا فى مفترق الطرق » • الناشر : دار الأداب ، بيروت ، ١٩٧٤ •
٤٠ ـ « أقنعة الناصرية السبعة » • الناشر : دار القضايا بيروت : الطبعة الاولى ، بيروت ١٩٧٦ : الطبعــة الثانية ، القاهــرة ، ١٩٧٦ •
٤١ ـ « لمصر والحرية » • الناشر : دار القضــايا ، بيروت ، ١٩٧٧ •
٤٢ ـ « تاريخ الفكر المصرى الحديث » من عصر اسماعيل الى ثورة ١٩١٩ (المبحث الآول : الخلفية التاريخية : الجــزء الأول) • الناشر : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٠ •
٤٣ ـ « مقدمة فى فقــه اللغــة العربية » • الناشر : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٠ •
٤٤ ـ « تاريخ الفكر المصرى الحديث » من عصــر اسماعيل الى ثورة ١٩١٩ (المبحث الأول : الخلفية التاريخية.

الجـزء الثانى) . الناشر : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٤ .

٤٥ ـ « تاريخ الفـكر المصرى الحديث » من عصر اسماعيل الى ثورة ١٩١٩ (المبحث الثانى : الفكر السياسى والاجتماعى) الجـزء الثـالث ، الناشر : مكتبـة مدبولى القاهرة ١٩٨٦ .

٤٦ ـ « اقنعة اوروبية » . الناشر : دار ومطـابع المستقبل ، القاهـرة ١٩٨٦ .

رقـم الايـداع
٨٦/٣٨٢٩

مطبعـة الطـويل
٤٧ شارع نظيف ـ روض الفـرج
تليفون : ٩٤٠٨٧٩

محاورات الدكتور لويس عوض الجديدة هى الأفكار التى تراوده فى مواضيع الفكر والسياسة والاجتماع ودليل قارئه الذكى إلى الرجعية والتقدمية وغيرهما من المذاهب الفكرية .

المستقبل بالفجالة والإسكندرية
ومؤسسة المعارف ببيروت

